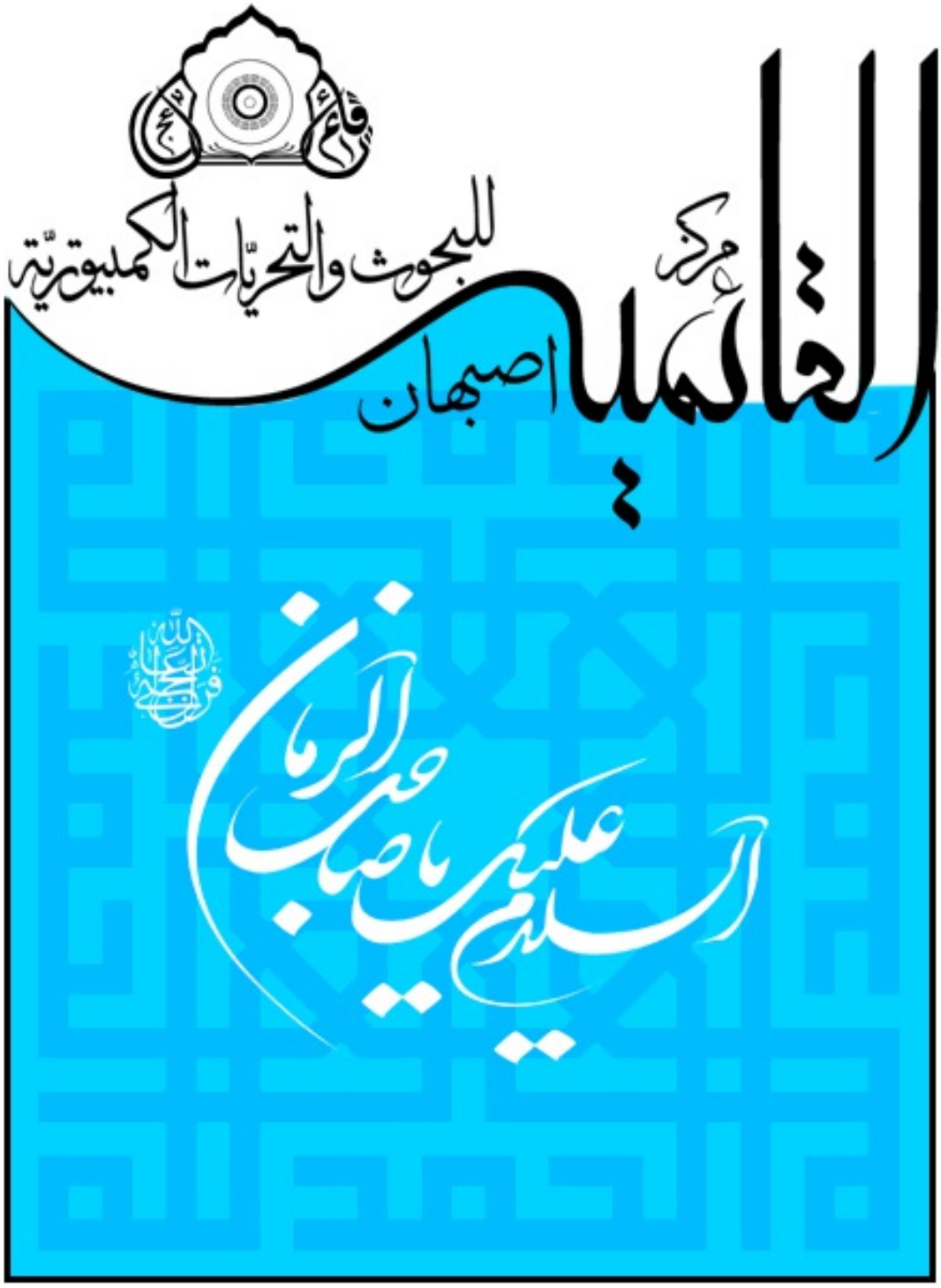

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الأب د. بطرس حداد

رحلة سبستياني

الأب جوزيبه دي سانتا ماريا الكرملي
إلى العراق سنة ١٦٦٩ م

Fr. Giuseppe di S. Maria O.c.D. (SEBASTIANI)

الدار العربية للموسوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

رحلهٔ سبستیانی

کاتب:

سبستیانی

نشرت فی الطباعهٔ:

الدار العربیهٔ للموسوعات

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد ----- ۷
اشارة ----- ۷
کلمة المعرب ----- ۷
سبستیانی و هو الاب جوزیبه دی سانتا ماریا الکرملی ۱۶۲۳- SEBASTIANI). D. C. O Maria S. Giuseppe di Fr. ۱۶۸۹) ----- ۹
کتاب الرحلة: ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
و یتکون المجلد الاول ----- ۱۰
غایة الرحلة: ----- ۱۰
کلمة اخیرة فی الرحلة: ----- ۱۱
الرحلة الاولی ----- ۱۱
الفصل الثانی عشر (من الکتاب الاول) الاستعدادات للسفر الی بغداد عن طریق الموصل ----- ۱۱
الفصل الثالث عشر مکوثنا فی مدینة الموصل و سفرنا الی بغداد ----- ۱۴
الفصل الرابع عشر مکوثنا فی بغداد و سفرنا إلی البصرة ----- ۱۶
الفصل الخامس عشر معاکسات البدو ----- ۱۹
الفصل السادس عشر تکملة السفرة الی البصرة ----- ۲۰
الفصل السابع عشر مکوثنا فی البصرة ----- ۲۲
الفصل الثامن عشر الإبحار الی کومبرو فی فارس و التوجه الی سورات فی الهند ----- ۲۳
الفصل التاسع عشر اخبار متفرقة عن فارس ----- ۲۴
الفصل العشرون الوصول الی البصرة ... و اخبار عن الصابئة ----- ۲۴
الفصل الحادی و العشرون السفر الی بغداد ----- ۲۵
الفصل الثانی و العشرون کلمة عن النساطرة ----- ۲۷
الفصل الثالث و العشرون سفر خطر الی حلب ----- ۳۰

الفصل الرابع و العشرون مکوثنا فی حلب، و اخبار متفرقة ----- ۳۳
الفصل الخامس و العشرون إلمامة عامة عن الامبراطوریة العثمانیة ----- ۳۴
الفصل السادس و العشرون الإبحار الی البندقیة ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
البعثة الثانیة الی الهند الشرقیة ملخص ما کتبه سبستیانی عن العراق فی المجلد الثانی من رحلته الی الهند الشرقیة الکتاب الاول (ملخص الفصول ا
الفصل السابع و العشرون السفر الی ماردین ثم الموصل ----- ۳۵
الفصل الثامن و العشرون مکوثنا فی الموصل و سفرنا الی بغداد ----- ۳۶
الفصل التاسع و العشرون سفرنا الی البصرة بواسطة دجلة ----- ۳۸
اشارة ----- ۳۸
الکتاب الثالث من المجلد الثانی الفصل السابع عشر ... الی البصرة ----- ۴۰
الفصل الثلاثون فی البصرة ----- ۴۰
الفصل الواحد و الثلاثون السفر الی بغداد- اعتقالی فی العمارة ----- ۴۰
الفصل الثانی و الثلاثون السفر الی الموصل ----- ۴۳
الفصل الثالث و الثلاثون السفر الی حلب ----- ۴۴
الفصل الرابع و الثلاثون فی حلب ----- ۴۵
الفصل الخامس و الثلاثون لمحة عن الامبراطوریة العثمانیة و تحلیل حالتها ----- ۴۵
ملاحق الکتاب ----- ۴۷
المراجع ----- ۵۴
فهرس الکتاب ----- ۵۵
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۵۶

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد

اشارة

نام كتاب: رحلة سبستيانى

ترجمه و [تعليق]: ترجمها عن الايطاليه و علق عليها: بطرس حداد

نويسنده: سباستينى

rhlah sbstyani

الناشر: الدار العربية للموسوعات ستاند

النوع: ورقى غلاف كرتونى،

حجم: ۲۴×۱۷،

عدد الصفحات: ۱۳۶

صفحة الطبعة: ۱ مجلدات: ۱

اللغة: عربى

نويسنده: سباستينى، جوزپه

تاريخ وفات مؤلف: ۱۶۸۹ م

موضوع: سفرنامه

تعداد جلد: ۱

ناشر: الدار العربية للموسوعات

مكان چاپ: لبنان بيروت

سال چاپ: ۱۴۲۶ ه. ق ۱۳۸۳ ه ش

تاريخ النشر: ۰۱/۰۱/۲۰۰۶

نوبت چاپ: اول

شماره كتابشناسى ملى: ۸۸-۸۴۱۸

كلمة المعرب

تضم كتب الرحلات فوائد و معلومات تاريخية و اجتماعية و تراثية عديدة. لذلك فقد اخذنا منذ فترة من الزمن بالبحث عن تلك الكتب لمطالعتها، و من ثم تقديمها الى القارىء، و غايتنا فى ذلك اسداء خدمة لأبناء وطننا العربى.

و قد نقلنا الكتاب الذى نقدمه اليوم عن الايطالية و عنوانه «ايفادات الى الهند الشرقية للمونسنيور سبستيانى»

Speditioni All''Indie Orientali di. Monsignor SEBASTIANI

و يقع الكتاب فى مجلدين، فى الاول وصف للرحلة الاولى، و قد طبع فى روما سنة ۱۶۶۶، بينما يضم الجزء الثانى حوادث الرحلة الثانية، و قد طبع فى روما ايضا سنة ۱۶۷۲.

و لما كان الكتاب يصف الرحلتين من ايطاليا الى الهند فقد اقتصرنا على ترجمة القسم الخاص بالعراق. و جدير بالذكر ان سبستيانى مر بالعراق اربع مرات، اعنى فى ذهابه الى الهند سنة ۱۶۵۶ و فى طريق عودته الى اوروبا بعد سنتين، ثم فى البعثة الثانية سنة ۱۶۶۰ و

فى ايابه سنة ۱۶۶۴.

و قد نقلنا ما جاء فى الرحلة بامانة دون ما تغيير او تحوير، و زيادة بالفائدة ترجمنا بعض الشىء من رحلته قبل دخوله العراق، اعنى منذ خروجه من حلب، ثم ترجمنا شيئا من الاخبار عند مبارحته العراق، لان لتلك الاماكن علاقة وطيدة بالعراق، و هى اجزاء من الوطن العربى، ففى ترجمتها فائدة اوسع.

و تمسكا بالاصل، فقد احتفظنا بارقام الفصول كما فى الكتاب، فكان

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۶

اول ما ترجمناه «الفصل الثانى عشر من الكتاب الاول» حيث يغادر صاحبنا حلب قاصدا الموصل. اما عناوين الفصول ففيها شىء من الاختصار، دون الاخلال بالمعنى.

و قد اطلعنا على طبعة ثانية للرحلة الاولى، طبعت فى البندقية سنة ۱۶۸۳، فقابلناها مع الطبعة الاولى التى اعتمدنا عليها، فوجدنا شيئا يسيرا من الاضافات، ادخلناها الى الترجمة و اشرنا الى ذلك.

ثم عثرنا على رحلة الاب فنشنسو، رفيق سبستيانى فى ايفاده الاول، فقابلناها مع رحلتنا ثم باشرنا بنقلها الى العربية.

*** كانت غاية سبستيانى من سفره الوصول الى الهند، لذلك نلاحظ انه لا يهتم كثيرا بالبلدان التى يمر بها، كما نجد فى وصفه قفزات غريبة. فبينما يتكلم عن نصيبين، اذا به فى سطور قليلة يصل الى الموصل، مكتفيا بذكر اسم قريتين لا اهمية لهما.

و قد جابهتنا فى اثناء الترجمة مشاكل و صعوبات بالنسبة الى اسماء الاعلام و القرى، لان صاحبنا يذكر هذه الاسماء بصورة مصحفة او مغلوطة، و الرجل معذور لانه يجهل اللغات الشرقية كما يعترف فى مقدمته، و هو يسمع اسماء تلك الاماكن من افواه العامة، و قد حاولنا قدر استطاعتنا ايجاد الاسم الصحيح لتلك المناطق فافلحنا تارة، و اخفقنا تارة اخرى، لذا وضعنا الاسماء بالفرنجية كما وردت فى الاصل، لعل هناك من يستطيع ان يجد الاسم الصحيح.

نلاحظ ان المؤلف لم يضع تعليقات او هوامش و له شروح قليلة ادخلها فى المتن، لذلك قررنا بعد ان فرغنا من الترجمة، ان نعلق على بعض ما جاء فى الكتاب لازالة الالتباس او زيادة فى الايضاح، و قد اتسعنا فى بعض تلك التعليقات، ففصلناها و جعلناها «ملاحق» ادرجناها باخر الكتاب، اخيرا وضعنا فهارس للكتاب لنسهل على القارىء مراجعة فصوله و معرفة محتوياته.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۷

استلفتت البلدان العربية و سائر اقطار الشرق الاوسط، انظار الرحالة الغربيين منذ قديم الزمان، فاخذوا يرتادونها، و يدونون مشاهداتهم، و انطباعاتهم عنها. و قد كانت الدوافع الى تلك الرحلات كثيرة متفاوتة، يدخل فيها العلم و السياسة و الدين و التجارة.

اننا نجد بين اولئك الرحالين: الباحث الآثارى، و المستكشف الجغرافى المحب للاسفار، و منهم من استرعت اهتمامه معادن هذه الاقطار و سائر خيراتها و فيهم رجل الدين، و التاجر، و السياسى و الطبيب و المتتبع لاحوال الشعوب، و المتطلع الى شؤون اخرى فى هذا العالم الشرقى المترامى الاطراف، الذى يحوى كل ما تصبو اليه نفوس الغربيين.

و قد كان ما كتبه اولئك الرواد، فى شتى الاغراض التى جاءوا من اجلها الى هذه الديار، شيئا يفوق الحصر، و لا نجانب الصواب حين نقول ان عدد الرحلات الاجنبية التى وصفت العراق او تطرقت لذكره، قد يزيد على ثلاثمائة رحلة، كتبت بلغات شتى: الانكليزية، الفرنسية، اللاتينية، الايطالية، الاسبانية، البرتغالية، الالمانية، الهولندية، التركية، الفارسية، و غيرها من لغات الغرب و الشرق. و قد طبع جانب غير قليل منها فى اثناء القرون الاربعة الاخيرة، على ان معظم طبعات تلك الرحلات، قد اصبح اليوم عزيزا فى حكم النادر.

و احس ابناء العراق بقيمة هذه الرحلات من الوجهة التاريخية و الجغرافية و الاجتماعية و الاقتصادية، فأخذ غير واحد منهم يحاول الوقوف عليها و الاقتباس من فوائدها. و عمد رهط منهم الى امهات تلك الرحلات، فنقلها الى العربية و نشرها بالطبع تعميما لفوائدها.

و كان من بينها رحلات كل من:

تافرنیه، نیبور، لانزا، ریج، فریزر، بکنکهام، بج، دیولافوا، اللیدی دراور، فانیس، هی، ویکرام، و غیرهم ممن یطول ذکرهم.

و ما هـذه الرحلات المنقولة الی اللغة العربیة. الا حلقات من سلسلة طویلة، نرجو ان یأخذ بعضـها برقاب بعض فتتکامل علی مر الزمن. فاذا تم نقلها الی العربیة، اتیح لابناء الضاد ان یطلعوا علیها و یمحصوها بالنقد

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۸

و التصویب و ینهلوا من فوائدها الجمة. فتتسع بذلک مراجعنا عن تاریخ العراق خاصة، و الشرق عامة، خلال القرون الاربعة الاخیرة.

و من نفائس ما یذکر فی هذا الباب، رحلتان واسعتان قام بهما رجل ایطالی، یقال له هیرونیموس سبستیانی، انتمی فی مطلع شبابه الی الرهبنـة الکرملیـة، فصـار یعرف بالاب جوزیبه دی سانتا ماریا الکرملی، و توفی عام ۱۶۸۹ م. و صـنف رحلته باللغة الایطالیة، و طبعت فی روما سنة ۱۶۶۶- ۱۶۷۲ م فی مجلدین اصبحا من نوادر المطبوعات فی عصرنا.

و مـا من شـک، فی ان هـذه الرحلات الغربیـة، کلمـا تقادم زمنها، صـعب علی المترجم نقلها الی العربیـة لما یعتورها من تصـحیف و تحریف فی اعلام الاشخاص و الامکنة، و لما تتضمنه من اوهام و اقاویل لا تقوی امام البحث و التحقیق فی عصرنا.

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۹

سبستیـانی و هـو الاـب جوزیبه دی سانتـا ماریـا الکرملی ۱۶۲۳ – D. C. O .Maria .S di .Giuseppe Fr۱۶۸۹ (SEBASTIANI).

ولد هیرونیموس سبستیانی فی بلدة کابرارولا(Caprarola) فی ایطالیـا فی ۲۱ شباط سنة ۱۶۲۳. و لمـا شب عن الطوق انخرط فی السـلک الرهبانی لدی الآباء الکرملیین الحفاة، و اعلن نذوره الرهبانیة فی ۳ اذار ۱۶۴۱ فی روما متخذا اسما جدیدا عرف فی التاریخ و هو «الاخ جوزیبه دی سانتا ماریا».

ارسـل فترة من الزمن الی المانیا کما یقول فی مقدمـة کتابه «قضـیت زهرة ایامی فی المانیا»، ثم عاد الی ایطالیا و اخـذ یـدرس الرهبان التعالیم الدینیة او اللاهوت.

انتـدبته الرئاسة الکنسـیة للذهاب فی مهمة رسـمیة الی الهند، بصـفة مفتش رسولی(Commissarius) لدراسـة احوال النصاری فی منطقـة الملبار، و هی ولایة کیرالا حالیا، فبارح روما فی ۲۲ شباط ۱۶۵۶ و شد عصا الرحال الی الشـرق، و هو لا یعرف ایة لغة شـرقیة، کما یعترف هو نفسه غیر مرة فی کتابه.

و رافقه رهبـان من دیره. و بعـد ان اکمـل المهمـة التی اسـندت الیه عـاد الی اوروبـا فی نهایـة سـنة ۱۶۵۸. ثم سـیم اسـقفا علی ابرشیة هیرابولیس شرفا(Hierapolis) بتاریخ ۱۵ کانون الاول ۱۶۵۹ (ج ۲- ص ۳) و عاد الی الشـرق ثانیة لمعالجة المعضـلة التی سبق له دراسـتها عن کثب، فـترک رومـا فی ۷ شـباط ۱۶۶۰، و فی منتصف تلـک السـنة مر بـالعراق و واصـل سـیره الی الهنـد، و حاول قـدر استطاعته ان یشد عری الوفاق بین المسیحیین و رؤسائهم الدینیین هناک.

و حدث ان اسـتولی الهولندیون علی منطقة کوشـین حیث کان صاحبنا فاضطر الی الانتقال من مکان الی اخر حتی ارغم علی الخروج نهائیا، فقرر العودة الی اوروبا، و فی طریق العودة مر بالعراق ایضا.

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۰

نقلت خـدماته الی جزر فی بحر ایجه، ثم الی ایطالیـا فی مدینـة بیزینیانو فی کالابریا(Bisignano in Calabria) و ذلـک فی ۲۲ آب ۱۶۶۷، و بعد بضـعة اعوام نقل الی جیتا دی کاستیللو فی مقاطعة اورمبریا Citta di Castello in Umbria و ذلک بتاریخ ۸ تشرین الاول ۱۶۷۲، و هناک وافته المنیة فی ۱۵ تشرین ۱۶۸۹ تارکا ذکرا صالحا و اسما عطرا بین ابناء شعبه و معارفه.

له الی جـانب الرحلـة التی نقلنـا منهـا القسم الخاص بالعراق، مؤلفات اخری لم تر النور تتعلق مواضـیعها بالمهمـة التی اسـندت الیه فی

الملبار، فهی علی شبه تقاریر رفعها الی المراجع الدینیة الرسمیة و هذه هی:

۱- رحلته فی مجلدین.

۲- تقریر عن زیارته للملبار وضعه سنة ۱۶۵۷.

۳- تعلیمات للمؤمنین سنة ۱۶۵۷.

۴- وصف لحالة المسیحیین فی الملبار سنة ۱۶۵۹.

۵- تعلیمات المجمع المقدس و تعلیقاته علیها سنة ۱۶۵۹.

۶- وصف للحوادث سنة ۱۶۵۹.

تکاد معظم الکتب التاریخیة التی تبحث عن الرهبانیة الکرملیة تنوه به و تتطرق الی نشاطاته، منها:

- Analecta Ordinis Carmelitarum Discalceatorum, vol. XIVan. XIV(۹۳۹۱)Roma, PP. ۴۴۳- ۷۴۳.

- Hierarchia Carm. Fasc. IvPP. ۳۸۱- ۰۰۲.

- Missonsdesperes Carmes ۷۰۹۱- ۸۰۹۱, BrugesP. ۲۴ SS.

- P. EustachiodiS. MariaO. C. D.: Istoriadelven. Mons. Fr. Giuseppe deSebastiani, Roma ۹۱۷۱.

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۱

کتاب الرحلة:

اشارة

تتکون رحلة سبستیانی من مجلدین، طبع المجلد الاول فی روما سنة ۱۶۶۶، و فیه اخبار الرحلة الاولی، اما المجلد الثانی فقد طبع فی روما ایضا سنة ۱۶۷۲ و یضم حوادث الرحلة الثانیة.

و یتکون المجلد الاول

من ثلاثة کتب، و یقسم کل کتاب الی فصول متعددة، و هکذا المجلد الثانی.

و قد وضع المؤلف فی مطلع المجلد الثانی معجما للکلمات و التعابیر الغریبة عن القارىء الاوروبی (الکلمات العربیة و الفارسیة و الترکیة و الهندیة)، و هذا المعجم مفید بالرغم من قلة مادته.

الطبعة قدیمة، و الاخطاء المطبعیة عدیدة، کما یعترف صاحب الرحلة نفسه فی المقدمة، و تصعب القراءة فی بعض الحالات نظرا لطریقة الطبع القدیمة، اذ لا تمیز حرف عن و کذلک و فینشأ من جرّاء ذلک بعض الالتباس، خاصة فی اسماء الاعلام.

ان لغة سبستیانی، بصورة عامة، لیست متینة البناء، و لعل سبب ذلک یرجع الی کونه قضی فترة من حیاته فی المانیا، و هو من دعاة استعمال الاسلوب اللغوی القدیم فی الکتابة، کما یصرح هو نفسه فی مقدمة المجلد الثانی.

غایة الرحلة:

کانت غایة سبستیانی فی رحلاته المتعددة الذهاب الی الهند، لزیارة

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۲

الجماعة المسيحية المنتشرة فی اقليم الملبار (ولاية كيرالا حاليا) اذ كان موفدا من قبل الكنيسة الكاثوليكية فی روما.

كان الوفد الذی ترأسه سبستيانی مكونا من اشخاص ثلاثة آخرين هم الاب فنشنسو مارية دی سانتا كاترينة دی سيينا، و هو ايطالی، و قد الف كتابا وصف فيه احداث هذه السفرة كما رافقه الاب رفائيل دی سان الكسيوس، لكنه لم يواصل السفر الی الهند، بل بقی فی جبل الكرمل بفلسطين و لويس دی سان فرنشسكو، و كان من هواة الرسم، و هو فرنسی الاصل .

اما الرحلة الثانية فكانت للغاية نفسها، و قد تبع طريق الرحلة الاولی، مع تغييرات حتمتها الضرورة. و رافقه فی هذه المرة: انجلو دی سانتا مارية، لكنه مرض و مات فی ۱۳ كانون الثانی ۱۶۶۰ . و جيوفانی تاديو دی سانتا بريجيدة و الاب كوتيفريدو دی سانت اندريا، الذی كان يتقن لغات عديدة و شاب اسمه فالنتينو كيوسی، و لما مرّ الوفد بلبنان اراد اصطحاب قسيسين ليجيدا اللغة السريانية فی الهند و اذ لم يجد، اصطحب مترجما مارونيا .

بقی الوفد فترة فی الهند، لكن المشاحنات السياسية و التكالب الاستعماری بين البرتغاليين و الهولنديين اثرت فی مجاری الامور، فاضطر سبستيانی الی ترك الهند عائدا الی اوروبا.

ما ان عاد صاحبنا الی بلاده حتی وضع ذكريات رحلته، و نشرها فيما بعد «نزولا عند طلب بعض الاصدقاء و الحاحهم» .

رحلة سبستيانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۳

لاحظنا ان المهتمين بشؤون التاريخ العراقی لم يذكروا هذه الرحلة:

فللاستاذ كوركيس عواد مقالة ضافية عنوانها «المعرب من كتب الرحلات الاجنبية الی العراق» ألحقها بقائمة الرحالة، و لم يذكر سبستيانی، كما لم يفعل قبله لدنكريك فی كتابه «اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» بالرغم من ذكره اسماء رحالة كثيرين، و لم ينوه بهذه الرحلة الا الاستاذ يعقوب سركيس .

كلمة اخيرة فی الرحلة:

كتاب سبستيانی ليس رحلة استطلاعية، بل هو مجموعة ذكريات لذلك فهو لا يذكر من مشاهداته الا النزر القليل. و يتسم الكتاب بنظرة دينية او صوفية للامور، فهو يستنتج من الاحداث المختلفة فكرة لتأمله الروحی، فالحر الشديد،- علی سبيل المثال- يجره الی التفكير بعذاب النار فی جهنم فيستغفر ربه، و يتحمل الحر فی الحياة الدنيا كی لا يراه بعد الموت! و خراب المدن التی يمر بها يجعله يفكر بزوال العالم و مجده!.

و لسبستيانی نظرة فيها ترفع قومی، و تزمت طائفی احيانا، فمدينة بغداد- مثلا- هی لا شیء حسب قوله بالنسبة الی مدن اوروبا ... و له زلات و شطحات بالنسبة الی الطوائف التی من غير طائفته، و لا نستغرب ذلك عند ما نضع الامور فی اطارها الزمنی.

رحلة سبستيانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۵

الرحلة الاولی

الفصل الثانی عشر (من الكتاب الاول) الاستعدادات للسفر الی بغداد عن طريق الموصل

۴۱ كان يسيطر علی المناطق العربية «القريبة من حلب» فی ذلك الحين اميران احدهما مغتصب ظالم و الثانی امير شرعی و كان القتال بينهما سجالا، و كانا يلحقان الاذی بالمسافرين، الذين كانوا يضطرون إلی دفع الاتاوة للطرفين. لقد رأيت احدهما و قد نصب خيامه فی ضواحی حلب، فظهرت و كانها مدينة ثانية فی جوار حلب ... و من عادات الاعراب البدو ان يرتبوا كل شیء فی خيامهم علی نمط واحد، و الخيام هی محل سكناهم، لكنها مدن متنقلة ...

جرت العادهٔ ان تسافر (الخزنهٔ)(Casne) فی شهر رمضان الی بغداد.

و الخزنهٔ هی عبارهٔ عن الاموال اللازمهٔ لدفع الرواتب الی الجنود. و قد وقع شهر رمضان فی هذه السنهٔ فی شهر حزیران (۱۶۵۶). فانتهزت هذه الفرصهٔ لا سافر مع قافلهٔ الخزنهٔ، و تأهبت للرحیل، فاشتریت اربعهٔ خیول، و اتخذت

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۶

لی خادما مارونیا اسمه «موسی»، کان یفهم اللغهٔ، کما اقتنیت ألبسهٔ و سلاحا و کل ما هو ضروری للسفر.

و حدث قبل السفر بایام قلیلهٔ انی اصبت بحمی قویهٔ (هی حسب قول بعضهم ضریبهٔ لا بد ان یؤدیها کل زائر لحلب!) و تخلصت منها بعد ثلاثهٔ ایام بفضل العقاقیر التی تناولتها، لکنها ترکتنی ضعیفا ذابلا، فاعتقد الجمیع انی سأعدل عن السفر بسبب الوهن الذی استحوذ علیّ، و لشدهٔ الحر فی ذلک الشهر، لکنی عزمت علی السفر، نظرا الی اهمیهٔ الرسالهٔ التی انیطت بی.

فسلمت نفسی الی عنایهٔ الرحمان و وضعت فی یده الکریمهٔ صحتی و حیاتی.

و قد طلبت من القنصل الفرنسی ان یوصی بی خیرا لدی الاغا الذی یرأس القافلهٔ، فقدم له قطعهٔ من القماش، و هذا ما فعله القنصل الانکلیزی ایضا، و قمت بدوری فذهبت لزیارهٔ الاغا و قدمت له جبهٔ طویلهٔ مصنوعهٔ من قماش الاطلس الاخضر الفاخر، و غایتی ان یذود عنی فی السفر و یخلصنی من المآزق التی تجابه المسافرین و خاصهٔ المسافر المسیحی المسکین، فوعدنی الرجل خیرا، و قال انه سیضعنی فی مکان الصدارهٔ فی قافلته و یعتبرنی من رفاقه المقربین.

ذهبت لاقرأ السلام علی القنصل الانکلیزی قبل سفری و اشکره علی حسن صنیعه نحوی، فطلب منی ان احمل معی الی البصرهٔ او الی اصفهان ثلاث قطع من الزمرد النادر الثمین، یقدر ثمنها بنحو ثلاثهٔ الاف قرش ، فقبلت عن طیبهٔ خاطر تأدیهٔ هذه الخدمهٔ له. و قد اهدانی صحنا ملیئا بالحلویات فقبلتها بسرور، و قد افادتنی کثیرا فی اثناء السفر.

ثم ذهبت لاودع الاخوهٔ الرهبان، و رؤساء الافرنج، خاصهٔ قنصل فرنسا (الذی ودعنی قائلا: اسأل اللّه ان اسمع انک وصلت بغداد مریضا!

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۷

لقد اراد ان یفهمنی ان الوصول الی بغداد فی هذا الموسم و الخلاص من موت محتم یعد نعمهٔ من اللّه).

عند وصولنا الی باب المدینهٔ، انا ورفاق السفر، ابدلنا ثیابنا، فارتدینا الزی المحلی. و امتطیت الحصان و اسرعت لاکون مع جماعهٔ المسافرین و کانوا لا یزالون بالقرب من المدینهٔ.

و للمرهٔ الثانیهٔ جاء اثنان من قبل القنصل الفرنسی و اعادا التوصیهٔ بحقی عند الاغا، ثم عادا الی المدینهٔ فجدد الاغا و عده بانه سیحامی عنی، و اوصانی ان اکون قریبا منه دائما اثناء الرحیل و عند النزول فی (القوناق) محطات الاستراحهٔ.

بدانا السفر اصیل الیوم الثانی من تموز (۱۶۵۶) .. و کنا نسیر بسرعهٔ.

نحو عشر ساعات أو اثنتی عشرهٔ ساعهٔ یومیّا. یبدأ السیر نحو الساعهٔ الثامنهٔ مساء و یدوم الی الساعهٔ العاشرهٔ صباحا و کان سفرنا لیلا للتخلص من حر النهار المحرق ...

توقفنا اولا فی طاطکو Tatcu و هی قریهٔ الانکلیزی فسلمنی رسائل الی البصرهٔ و الی کومبرو Combru ... فی الیوم التالی وصلنا الفرات فعبرناه مع عدد غفیر من الجنود کانوا هناک و لهم قوارب تعلوها رایات مرفرفهٔ. توقفنا عند البیره Elbir (و هی بیریا القدیمهٔ Berea) الواقعهٔ الی الجانب الثانی من

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۸

نهر الفرات. و کان علیّ ان ادفع «سکنا» واحدا Zecchino عن کل نفر اذا لم یعترف الاغا بنا اننا من اتباعه. و بالفعل فان الاتراک Mori لاحظوا حالا انی من الافرنج بالرغم من ارتدائی ألبستهم. و هکذا عبرنا سوریا Soria الی ما بین

النهرین Mesopotamia .

لقد افقدنی الحر الشدید و السیر الحثیث المتواصل اثنین من خیولی، فقد مرضا علی اثر التعب و الحر، فلم یعودا یقدمان خدمهٔ تذکر، مما اضطرنی الی تبدیلهما بحصانین آخرین.

توقفنا فی جار ملکCiarmelic ثم سرنا فی ممرات ضیقهٔ بین الجبال، و فی ودیان ملیئهٔ بالحجارهٔ ... فوصلنا الی اورفاOrfa التی یعتقد الکثیرون انها اور الکلدانیین القدیمهٔ، موطن ابینا ابراهیم، لکنهم علی خطأ، فالحقیقهٔ التی لا یشوبها شک انها مدینهٔ الرها القدیمهٔEdessa مملکهٔ ابجر (ذاک الذی خص السید المسیح باعجوبهٔ، فارسل له رسمه الکریم، و هی مدینهٔ بلدوین فی عهد السیطرهٔ النصرانیهٔ) . و فی المدینهٔ موضع تقوم علیه کنیسهٔ حیث عاش القدیس الکسیوسی Alessio. S و الکنیسهٔ حالیا بید الارمن.

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۹

هناک حوض کبیر ملیء بالماء القراح، یطلق علیه الاهلون اسم حوض ابراهیم بینما یسمیه البعض حوض یعقوب کما یوجد ضریح الشهداء المعظمین شامونی و کوریا و حبیب الذین ذاع اسمهم علی اثر معجزهٔ جرت بشفاعتهم لشابهٔ من اهالی تلک المنطقهٔ ...

یکثر الثلج فی هذه المنطقهٔ حتی فی فصل الصیف. کما تکثر الاشجار المثمرهٔ، خاصهٔ الاعناب و للیعاقبهٔ کروم خاصهٔ بهم. لکن الخمر سیئهٔ، لان رائحهٔ الانیهٔ المطلیهٔ بالقار التی یحفظون الخمر فیها تؤثر فی الخمر فتغیر مذاقها.

... وصلنا الی جلاب Giulap ، و فی صباح الیوم التالی وصلنا الی تل قورانTelcoran ثم تابعنا السیر مساء فمشینا طوال اللیل. فلما انبلج الصبح راینا اننا قد ظللنا الطریق، فکان علینا ان نفتش عن دلیل یعیدنا الی السراط السوی، و بعد جهد عظیم وصلنا الی کفر سوریGaursuri و هی قریهٔ مقفرهٔ کانت سابقا للارمن. و هناک بئر ماؤها زلال، و بالقرب من البئر خیام للبدو، فاشترینا منهم لبنا له طعم بین الحامض و الحلو. و یکثر فی تلک الاصقاع و هو مفید جدا اثناء السفر.

و یعود الفضل الیه فی بقائی حیا و متمتعا بصحهٔ جیدهٔ.

فی تلک الفترهٔ، کانت ثلهٔ من الجنود الانکشاریین قوامها ستون نفرا،

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۲۰

فی طریقها من بغداد الی الموصل: و اذ کان المناخ حارا لا یحتمل و الریاح قویهٔ، فقد مات منهم اربعون جندیا، لم یوار التراب منهم سوی اثنین، بینما بقیت جثث الاخرین دون دفن، فتکالبت الوحوش علیها فی ذلک الیوم نفسه مات رجلان و امرأهٔ من قافلتنا، فکان لموتهم المفجع تأثیر فی افراد القافلهٔ کلهم ...

لقد کنا، انا ورفاق السفر، غارقین الوقت کله بعرقنا، منذ خروجنا من حلب حتی وصولنا الی بغداد. و قد تهب الریح احیانا فتنشف العرق عن اجسامنا، لکنها کانت ریحا مزعجهٔ للغایهٔ فهی محملهٔ بهواء حار کلهیب النار ... و لقد اصبحنا اکثر من مرهٔ فی الرمق الاخیر. و هکذا کفرت عن خطایای امام الرب، و فکرت فی اعماق نفسی بجهنم ... و ظهر الموت حلوا لنخلص من العذاب الذی کنت فیه ...

فی الیوم الثانی حللنا فی مره کثری (؟)Caragheisie و هی قریهٔ للارمن ایضا، و تقع علی هضبهٔ فی وسط ارض مقفار جدباء لا نهایهٔ لها، و قد احرقتها الشمس.

لم نتقدم کثیرا فی ذلک الیوم، لان دلیلنا ترکنا فی ظلام اللیل الدامس و هرب. فلما حل المساء عاودنا السفر. و نحو الساعهٔ الثالثهٔ تعالت صراخات حارس مؤخرهٔ القافلهٔ، یدعونا الی حمل السلاح، فاوقع الذعر فی نفس الاغا، فاجتمع هو و حراس مقدمهٔ القافلهٔ بالقرب من الخزینهٔ، و التجأت بدوری بالقرب منهم ... و اذا بالقادمین جماعهٔ من البدو کانوا یریدون الانضمام الی قافلتنا و لم یکونوا لصوصا ...

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۲۱

و فی الیوم التالی وصلنا الی قومجصار Coccessar ، و هی مدینهٔ کبیرهٔ قائمهٔ فی السهل، فی الجهه المقابلهٔ لماردین. هناک یری

الزائر اربعة اديرة كبيرة لكنها متهدمة، و تستخدم الان كمساجد و قد احتفل المسلمون هنا بحلول نهاية رمضان (عيد الفطر) فاخذوا يلعبون و يتسابقون و يرمون الرماح الطويلة و هم يطاردون الريح على خيولهم، ثم يتناولون الرماح من الارض و هم راكضين.

مكثنا هناك يومين، اذ كنا ننتظر بغالا محملة بالبضائع متجهة الى ماردين، و حدث فى تلك الاثناء ان مات تحت انظارنا احد افراد القافلة، و كان ارمنيا، لكننا لم نكتشف نصرانيته الا و بعد وفاته ...

اتفقت مع احد المسافرين، و كان ارمنيا، ان نسافر سوية الى بغداد بواسطة النهر و ذلك بعد ان نبلغ الموصل، و اسم الارمنى اراكيل Arachel و هو من قرية جلوسانوفا (؟) Ciolsanova و كان شابا طرى العود، غنيا، و كان يقصد اغره Agra فى الهند يرافقه رجل ارمنى اخر، حلبى الموطن يدعى مراد Amurat كان يطيب له ان يسير برفقتنا، و فى كثير من الاحيان كان يترك خيمته ليأتى عندنا و يحاول التحدث معنا، اذ كان يرغب فى تعلم اللغة الايطالية تكلما و قراءة، و قد اظهر اجتهادا ملحوظا و استفاد من اختلاطه معنا ...

كانت المحطة التالية قره دره Caradera و من ثم نصيبين Nisibi و موقع هذه المدينة جميل، هناك رأينا كنيسة للارمن جميلة البناء، فيها ضريح

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۲۲

كبير من الرخام الابيض، قيل لنا، انه يضم رفاق القديس يعقوب النصيبى و رأينا كتبا مقدسة، لكن الدود كان قد عبث بها فخرمها. و لم تكن تقام المراسيم الطقسية فى الكنيسة على الدوام، و كان الارمن و اليعاقبة يتناوبون فى اقامة الطقوس فيها. و فى فناء الكنيسة قبور لثلاثة مرسلين (اوروبيين) توفاهم اللّه اثناء مرورهم بهذه المدينة.

ان مياه هذه المدينة غير مستساغة، بالرغم من ان جداول عديدة تمر فى أراضيها و تسقى حقولها و مزارعها.

فى الثامن و العشرين من تموز مررنا ب «ملالى» Malali و فى التاسع و العشرين قدمنا الى قنجا (؟) Cangia و فى اليوم التالى نزلنا فى البرية، و كان الماء قد شح، و هذا القليل كان عفنا فقد جمعناه من حفر آسنة، فحاولنا تصفيته ... فى صباح اليوم التالى مررنا بقلعة متهدمة، اسمها- ان لم تخننى الذاكرة- هيرناجيونى (؟) Hernagioni و كان الماء هناك غزيرا.

لقد حاول مصرف دار الاغا ان يبتز المال منا، فتمصلت من إلحاحه متذرعا بمختلف الحجج، خوفا من ان يقتدى به الخدام الاخرون، ثم فكرت انه من الاحسن ان اقدم له خمسة غروش، لانه اخذ يهدد و يتوعد ...

و بينما كنا نسير فى الليلة التالية بانت امام اعيننا معالم مدينة الموصل القديمة و محلاتها المطلة على دجلة. و لما انبلج الصبح دخلت المدينة مع قافلة اخرى كانت تنتظر قرب المدينة. فتركت «الخزنة» و اصحابها فى القلعة.

اما نحن و الارمن و بعض انفار القافلة فقد ذهبنا الى خان كان يتولى امره رجل يعقوبى، قدم لنا خدمات مشكورة.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۲۳

الفصل الثالث عشر مكوثنا فى مدينة الموصل و سفرنا الى بغداد

يمر نهر جدلة بسور هذه المدينة من جهتها الشمالية، و النهر عريض لكنه ضحل و قد نقصت مياهه فى هذا الموسم، لانه فصل الجفاف، و لهذا السبب لم يكن بالامكان السفر الى بغداد عن طريق النهر، لا بالقارب و لا بالطواف (الكلك)، و يصنع الكلك من اعواد متماسكة تشد فوق قرب مليئة بالهواء مربوطة الى بعضها بعضا.

عبر افراد القافلة المرافقون للخزنة نهر جدلة و اكملوا طريقهم الى بغداد مساء اليوم التالى لوصولنا، بينما بقيت انا فى الموصل تلبية لرغبة رفيق السفر الارمنى لكننى، و الحق يقال، ندمت فيما بعد لتأخرى عن تلك القافلة، و تكبدت من جراء ذلك بعض الاضرار، بينما استفاد الارمنى لكونه تمول ببضائع كثيرة فهبطت تكاليف سفره فى طريق البر.

ان الموصل مدينة كبيرة، لكنها لا تقاس عظمة بالنسبة الى نينوى القديمة، التى كانت، حسبما يروون، فى الجهة الثانية من النهر، هناك

حل الشباب التقی طوبیا و قد اصابها الخراب (یعنی مدینة الموصل) کما اصاب مختلف المدن العثمانیة، و الحقیقة المؤسفة هی، ان الحکم العثمانی اتی الی العالم لا لیبنی بل لیهدم، و قد لمست لمس الید هذا الواقع فی کل الاصقاع التی مررت بها خلال سفری، فلم اجد مدینة تستحق الاعتبار، الا حلب، و یرجع الفضل فی کون حلب لا تزال جمیلة و منظمة الی وجود الفرنج فیها.

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۲۴

زرت فی الموصل کنیسة لیعاقبة و یبلغ عددهم ۵۰۰ (نفس) .

و کان مطران الجماعة الکاثولیکیة غائبا عن المدینة، فقد حدثت بینه و بین افراد ملته مناقشات، ترک علی اثرها المدینة و ذهب الی ماردین.

رأیت کنیسة النساطرة ، و هی صغیرة جدا و یبلغ عدد النساطرة فی الموصل نحو ۱۰۰۰ نسمة. لکنهم یعدون بکثرة فی الجبال القریبة من المدینة، اذ یبلغ عددهم هناک نحو اربعین الفا، یعیشون فی مختلف القری الجبلیة، و بالامکان اعادتهم الی احضان الکنیسة المقدسة بجهود بعض المرسلین الغیورین، لکن ابلیسا اللعین استطاع، لسبب تافه لا یذکر، ان یبعد الاباء الکبوشیین الذین کانوا فی هذه المدینة من اجل تلک الغایة ...

کان المناخ حارا لا یحتمل لیلا و نهارا، فالخان عبارة عن بناء مغلق، و لیس للغرفة نوافذ، ارسلت فاستدعیت بعض اقارب سلیمان و ابنه، اما سلیمان هذا فقد کان احد مرافقی الاب برنارد دیستل P .Bernnardo

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۲۵ Diestel

و استفسرت منهم عن الرجل، فاجابونی ان اخباره قد انقطعت عنهم، فساورنی القلق بخصوصه و خفت علیه، اذ کان من المفروض ان یصل الی المدینة قبلی، نظرا لکونی مکثت فی مالطة و حلب نحو ثلاثة اشهر.

فی ۴ آب (۱۶۵۶) ترکت الموصل، نحو الساعة الثالثة بعد منتصف اللیل، برفقة قافلة کبیرة، فسرنا بمحاذاة دجلة فی اماکن غیر مأهولة، و قد انتابنی فی تلک اللیلة شعور الوحدة و القلق، و فی الصباح توقفنا قرب النهر فی منطقة تکثر فیها الحمامات و آبار القار الاسود، و میاه تلک الحمامات حارة جدا لانها فی غلیان مستمر .

فی تلک اللیلة مررنا بجهینة Gena و هی مدینة قدیمة جدا واسعة الاطراف، لکنها حالیا متهدمة خربة من اساساتها، و لم یبق فیها بیت قائم.

و وجدنا فی طریقنا کمیات کبیرة من القار، مما اوجب علینا السیر بحذر، ثم انزلنا الرحال قرب دجلة، فلمحنا وحشا، لکنه هرب للحال.

و لما عاودنا السیر مررنا بسلسلة من التلال تقع بمحاذاة مجری النهر، و هنا ایضا کان علینا ان نتقدم بحذر و اناة کی نبعد عنا خطر الانزلاق و السقوط فی الماء.

ثم توغلنا فی بقعة واسعة هی الموضع الذی لاقی فیه اربعون من العسکر الانکشاری حتفهم قبل ایام، فرأینا عظامهم و بقایا جثثهم، فتألمنا جدا لهذا المنظر المروع الذی

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۲۶

یفتت الاکباد، و ما کان سبب تلک المأساة الا الحر الشدید و قلة الماء.

واصلنا السیر فمررنا ببقعة جمیلة تقع الی جانب میاه غزیرة تفرعت عن دجلة، ثم وصلنا الی مدینة تکریت القدیمة الواسعة، لکن حالتها الحاضرة تدعو الی الرثاء هذا ما آلت الیه بغداد الثانیة.

فی اللیلة التالیة عبرنا دجلة، و کان متاعنا قد قل، و کاد ان ینفد ما حملنا من زوادة من الموصل، و لم نجد محلا نشتری منه زادا. لکن اراکیل قدم لنا شیئا قلیلا فی الیوم التالی، و کنا لا نزال بالقرب من ضفة الشط، ثم اکملنا سیرنا فی المساء، و عند الصباح وصلنا الی مدینة ترکها اهلها کلهم بسبب شحة المیاه و لو ارادوا اعادة الحیاة الی هذه المنطقة، التی یمکن ان نعتبرها بغداد السفلی، لا مکن

ذلك بجر المياه اليها، و هذا العمل يكلفهم نحو ۸۰ الف قرش.

اكملنا سيرنا حتى عثرنا على بعض الآبار، و قد جربنا حظنا بالصيد لنقتات به، و بالرغم من القيظ الشديد فقد مضينا على الطريق بسرعة على امل الوصول الى بغداد فى اليوم الثانى. و قد كان بعض الاعراب يختبئون فى وسط الخربات ليهاجموا القوافل و المسافرين، حتى بالقرب من بغداد، لكننا كنا حذرين للغاية.

ان بابل الاولى القديمة بعيدة نحو ۶۰ ميلا، و تقع على الفرات، و هى فى الوقت الحاضر خراب كلى، فقد تلاشت تلك المملكة التى كانت تلقى الرعب فى اسيا كلها، و لم يبق منها الا ذكريات مشينة عن سميراميس و نبوخذنصر و غيرهما من الطغاة بينما قارعت الاجيال ذكرى عطرة عن الفتيان الثلاثة «و النبى» دانيال .

منذ بزوع الشمس دخلنا قرية كبيرة تقع فى صدر بغداد فأرسلنا التحية

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۲۷

المتعارف عليها بين القوافل عند وصولها الى مدن مهمة، و هى اطلاق عيارات نارية. ثم اتينا الى الجسر المقام فوق قوارب، و هناك التقينا بثلة من العسكر الخيالة، كانت فى طريقها الى المدينة لتسلّم الرواتب (نظرا الى ان الخزنة وصلت الى بغداد قبلنا بيومين) فافسحنا لهم فى الطريق.

كان على الجسر اربعة من الجنود الانكشاريين مسلحين بهراوات غليظة، و كانت معاملتهم سيئة للغاية، فقد اعتدى احدهم على اراكيل المسكين فضربه و جر شعر لحيته، و سبب كل ذلك ان بغال اراكيل كانت خمسة، لكن الجندى اصر على اعتبارها ثمانية، و ارغمه على دفع الرسوم عن ثمانية احمال و بعد كلام كثير اقنعناه بقرشين و نصف القرش، ثم واصلنا الطريق الى بوابة المدينة حيث رأينا جمعا غفيرا من الناس، فصعب علينا السير، و حاولنا اختراق الصفوف مستعملين العصى تارة، و صارخين تارة اخرى، ليفسحوا فى المجال للحصان، اخيرا دخلنا المدينة، فاذا بجندى يهرول فى اعقابنا صارخا و مزمجرا طالبا قرشا اخر، و ما تركنا الا بعد ان ارغمنى على دفع ذلك القرش، لقد رأيت فى صورة هذا الجندى حقيقة سمعته السيئة و قد تجسمت فيه.

وجدت عند ابواب بغداد حراسا متزمتين، اما هياج الشعب و صياحه فحدث عنه و لا حرج، كما رأيت جشعا لا يشبع! اما موظفو الكمرك فكانوا ارمن و هم اكثر تهذيبا و احتراما فى معاملتهم، فبعد ان القوا نظرة على امتعتنا، صرفونا و ارسلوا معنا خادما ليدلنا على بيت الاباء الكبوشيين حيث التقينا ببعض البرتغاليين، و براهب فرنسيسكانى هناك فى طريق ايابه من الهند قاصدا اوروبا، و كانوا هناك منذ نحو شهر، فبعد وصولنا بيومين تركونا و سافروا مع قافلة سائرة الى ديار بكر.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۲۹

الفصل الرابع عشر مكوثنا فى بغداد و سفرنا إلى البصرة

لو قابلنا مدينة بغداد بمدن أوروبا، فانها ليست ذات شأن، لكننا لو وضعناها مقابل مدن اسيا الصغرى، فعندئذ تظهر مكانتها و تكبر قيمتها. ان ابنيتها و تحصيناتها هى أحقر بكثير من اصغر مدننا [فى اوروبا]، لكنها فى نظر الفرس و الاتراك درع عروشهم المتين، و لذا تتصارع المملكتان عليها، و تستوليان عليها بالتناوب، فيعمدون إلى تقوية حصونها و يدافعون عنها بكل قواهم، و مختصر القول ان المدينة ليست بتلك العظمة التى اشتهرت بها ...

ان اسيا الصغرى بصورة عامة، و جميع الولايات الكبيرة الخاضعة للحكم العثمانى، تفتقر الى الجنود، كما ان نسبة السكان هى فى هبوط تدريجى، بسبب الحرب مع «جمهورية» البندقية انى شاهد عيان لما اكتبه ...

... تباع الخيول فى بغداد باسعار بخسة نظرا لكثرتها، و لذلك عرف بان شراءها هنا يعود بفائدة اكبر نظرا لرخص اثمانها، عما فى حلب. و يمكن بيعها من ثم فى حلب ...

ذهبت لزيارة سراى الباشا ، انه بناء جميل جدا، تتوفر فيه المياه، و فيه حدائق غناء مليئة بالاشجار المثمرة، و يحتفظ الباشا بأسد فى حدائقه ، و له

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۳۰

مجموعة من الجياد الاصيلة، و شاهدت الشرطة الخيالة و هى تتمرن على سباق رمى الرماح، ثم رأيت الباشا نفسه يمارس هذا السباق مع جنوده .

يجرى عند خروج الوالى من السراى استعراض فخم، فيسير الموكب على صوت الابواق و الطبول، مع ثلة من العسكر الخيالة الرفيعة، و يلبس العسكر و كبار الموظفين ازياء غريبة متنوعة خاصة جلود النمور الرائعة و قماش الاطلس الجميل.

كان الباشا بوسنى Bosnese انكشاريا، اعنى ابن نصارى. و يتألف معظم افراد حرسه الخاص من ابناء مسقط راسه، و كان الباشا يكن للاباء الكبوشيين احتراما كبيرا، لان احدهم كان طبيبا ماهرا، و قد عالجه فشفاه من مرض كان قد ابتلى به ، و لذا اخذ الوالى يرسل لهم يوميا صدقة طيبة، و كان قاضى «بغداد» و رئيس الانكشاريين و المفتى يقتدون به «فى تقديم الهبات» و لما تراكمت الصدقات و فاضت عن حاجة الاباء اخذوا يوزعونها على فقراء المسيحيين. و يبلغ عدد المسيحيين الكاثوليك فى بغداد نحو ۳۰ او ۴۰ (نفسا؟

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۳۱

اسرة؟) و قد «توسط الاباء لدى الوالى» فانقذوا المسيحيين من دفع ضريبة كبيرة كان الباشا نفسه قد امرهم سابقا بتأديتها .

تتألف الجماعات المسيحية الاخرى فى هذه المدينة، من ارمن و يعاقبه و نساطرة، و هم باجمعهم لا يتعدون ۲۰۰ «نفس»، و كثيرا ما يذهبون الى مصلى الاباء الكبوشيين، الواقع داخل حرم ديرهم.

يطرق باب الدير يوميا عدد كبير من المرضى يطلبون العلاج، اذ ليس للاتراك اطباء .. عندما حل يوم عيد انتقال العذراء احتفلنا منذ عشية العيد بفرح و سرور، بالرغم من شدة الحر و فى اليوم الثامن عشر «من اب سنة ۱۶۵۶» تركنا بغداد، و استقللنا دانكا تمخر فى دجلة، و كانت وجهتنا البصرة املين العثور على مركب يبحر الى الهند و نظرا الى ان شوقى كان عظيما للوصول الى هدفى فى اسرع وقت. لذلك عدلت عن خطتى السابقة، فقررت ان ازور فارس فى طريق العودة.

ذهبت لالقى السلام على اراكيل، فاستمهلنى يومين حتى نسافر سوية، و من ثم استقل مركبا اخر، لكن هذا التريث سيؤخر سفرى «الى الهند» عدة اشهر.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۳۳

لقد جاد من اوصى بى خيرا عند ربان الدانك، و انا بدورى حاولت كسب رضاه، فاعطيته المال الذى طلبه منى. و لذا اصبح مهذبا جدا فى علاقته معى. و من ناحية اخرى، كان للاباء المذكورين براءة سلطانية، و منها نسخة طبق الاصل مصدق على صحتها من قبل والى بغداد، لذا طلبتها منهم، و وعدتهم باعادتها اليهم من البصرة فى فرصة سانحة و كانت البراءة المذكورة جزيلة الفائدة لنا.

كان معنا على ظهر الدانك اتراك كثيرون، و دراويش و تجار و جنود انكشاريون، و جماعة من البدو و الهنود، و قسيس نسطورى و اخر يعقوبى، و كاهنان أرمنيان، تقدم احدهما منا منذ بدء السفر ليكون ضيفا علينا بحجة واحدة من عادات البلد «اعنى الضيافة الشرقية!». و كان القسيس ياتى عندنا احيانا، ليطلب بلباقة ما يحتاج اليه.

فى الايام الثلاثة الاولى كان تقدمنا بطيئا، و كنا نسير بمحاذاة الشاطىء، فرأينا قرى عديدة، و كان الربان رجلا عربيا متعجرفا جدا، و يدعى فى غطرسته انه الشخص الوحيد الذى يملك سر فن قيادة المراكب، و لكن لم يمر وقت طويل حتى ظهر جهله المطبق فى هذا المضمار، فقد كان التيار يسيره، و كان يصطدم من وقت الى اخر بضفة النهر او باليابسة، و ما اكثر ما كان الكوثل يتحول الى الامام!

و فى اليوم السادس من سفرنا اصطدم الدانك بمرتفع رملى، فدعا الربان جميع المسافرين لمساعدته و لما تململ بعضهم، اضطر

جندیان الی ضرب المسافرین و ارغامهم علی النزول الی النهر لتخلیص المرکب: و طلبوا منی ان انزل أنا ایضا لکننی امتنعت لانی کنت مریضا، فقد کنت اشعر بالم حاد فی الکلی و المعدهٔ، فاسرع الربان نفسه لنجدتی، فبقیت انا ورفاقی فوق المرکب، و ذهبت الجهود التی ابداها القوم ادراج الریاح، فکان من الضروری ان ننتقل الی دانک اخر، فحولوا الامتعهٔ و الاموال، و انتقلت انا وزملائی الی المرکب

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۳۵

الجدید مع نساء بدویات عدیدات، و فی هذه الاثناء سقطت علیّ خشبهٔ غلیظهٔ فضربت جنبی الایمن فآلمتنی جدا، و فی المکان الجدید اصبحنا دون غطاء یقینا الحر، فاحرقتنا الشمس اذ کانت فی کبد السماء.

اکملنا انحدارنا بدانکنا الجدید، حتی استطاع الاخرون تخلیص الدانک الاول، و فی طریقه الینا عاد فاصطدم من جدید بجزیرهٔ صغیرهٔ تکونت علی اثر تحول مجری النهر قلیلا- لیعود من ثم الی مجراه الاول. و هکذا توقفنا مرهٔ اخری و قد ملأ- السأم و الغضب قلوبنا. و یرجع السبب فی بطء سیر الدانک الی ان اخشابه قدیمهٔ جدا و بناءه بدائی، کما ان عدد الرکاب کان کبیرا.

لقد کان للدانک مجذافان فقط، یتکون کل واحد منهما من ثلاث قطع، اما الصاریهٔ فمن تسع قطع او عشر، و هکذا القلوع، اما الدفهٔ فمن ست او سبع!! و کان محملا بالاتراک و الجنود و الاعراب و اخرین، بلغ عددهم نحو مئهٔ نفر، و لذا کنت اطلق علی الدانک اسم «قارب شارون» Barca di Caronte لکثرهٔ عدد المسافرین و ضجیجهم. اما القتال فیما بینهم فحدث عنه و لا حرج، و کم من مرهٔ ادی عراکهم الی اسالهٔ الدماء!

فی الیوم السابع من سفرنا دفعتنا الریح الی ضفهٔ النهر الیمنی، فرأینا بدوا کثیرین و قد اختبأوا وراء الاعشاب و الادغال التی نبتت بکثرهٔ علی ضفاف النهر، و کانوا قد اعدوا اسلحتهم، فتأهبنا لمناجزتهم و اعددنا اسلحتنا، فلما لاحظوا استعدادنا لمجابهتهم، و رأوا افواه البنادق موجهۀ نحوهم، لم یهجموا علینا بل تقدموا نحونا و القوا علینا السلام، فابعدناهم خوفا من تفاهم مسبق و مکر مبطن بینهم و بین البدویین الراکبین معنا، قد ینتج عندها ما لا تحمد عقباه.

کنا نمر باراض شاشعهٔ لا حیاهٔ فیها، و فی الیوم العاشر مررنا بقریهٔ

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۳۶

مأهولهٔ بالسکان فاشترینا منها متاعا. و بعد مسافهٔ انقسم النهر الی فرعین.

اما الفرع الاول فکان یفقد میاهه اذ تتبدد فی الاراضی الواسعهٔ، فیمسی بعد مسافهٔ جدولا صغیرا تتکاثر فی وسطه الجزیرات، و اخیرا یعود لیلتقی بالفرع الثانی فی القرنهٔ و یجتمع بالفرات قبل ذلک بقلیل.

کان خادمنا موسی قد خبأ فی الیوم التالی محفظهٔ احد رفاقی و فیها ۳۰ قرشا، و کان فی نیّته ان یصرفها فی شؤونه الخاصهٔ. فاعتقدوا ان احد الرکاب قد سرقها، فاخبرنا الربان و طلبنا من الجنود ان یحاولوا العثور علیها، ففتشوا بتدقیق کبیر، مستعملین التهدید و الوعید. اخیرا اقر موسی بانه هو الذی اخذ المحفظهٔ لیلقن الاب (حسب قوله) درسا فی کیفیهٔ المحافظهٔ علی النقود! فشعرت انی فی ورطهٔ عظیمهٔ، فاذا اعلنت اسم السارق فانی سأعرضه الی خطر جسیم، ففضلت ملازمهٔ الصمت، و فکرت بانه من الاحسن ان یکملوا التفتیش حتی ییأسوا.

لکن الامور اخذت تتعقد بالاکثر، فقد بدأ الراکبون یتراشقون تهمهٔ السرقهٔ، فوقفت فی الوسط لاعلن بانی اعتقد ان الرکاب جمیعهم شرفاء، و انی اشک فی کون المحفظهٔ قد سقطت فی الماء، و لذا اود ان یکفوا عن التفتیش، و اذا حدث و ان عثر احد علیها فلیأخذ منها خمسهٔ قروش و یضعها من ثم فی محلها اثناء اللیل، و علی اثر ذلک، اخذ الرکاب یستفسرون منا فی الایام الثلاثهٔ التالیهٔ عما حدث فی المحفظهٔ، فکانت اجوبتنا مبهمهٔ لا نعطی فرصهٔ للتشکیک بأحد، و اخذوا یراقبون مجلسنا لیروا کل من یتوجه الیه، و کنت ارید ان ابعد انظارهم عنا، او ان فی حوزتنا کمیهٔ من المال (و المال، و الحق یقال، ضروری جدا اثناء السفر فی تلک الاصقاع). و کان

بامكاننا ان نقترض المال عند الحاجة، لان للقوم فكرة طيبة عن الافرنج و ثقة كبيرة بالرهبان، و على اثر هذا الحادث اصبح الجند اكثر تهذبا معنا، بينما اخذوا ينظرون نظرة شك و ارتياب الى الاخرين لانهم فرحوا بفقداننا المحفظة. و كان هذا الموقف الجديد مفيدا لنا. و كان هناك عسكرى انكشارى من بوسنة، يطيب له تفقدنا، و كان يجالسنا، بالرغم من عدم تمكننا من التفاهم معه بسبب جهلنا اللغة.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۳۷

الفصل الخامس عشر معاكسات البدو

فى اليوم التاسع العشرين (من آب ۱۶۵۶) مررنا بقريتين كبيرتين هما العمارة Elemara و المنصورية Mansuria و فى اليوم التالى هبت ريح قوية فاقتربنا من ضفة النهر. و كانت هناك خيام للاعراب، فاذا بهم يجتمعون و يتجهون نحو النهر، فشككنا بنواياهم، لذا اعددنا السلاح و اتخذنا اماكن الدفاع. و فى هذه الاثناء ارتطم المركب بالقعر، فاضطر المسافرون الى النزول الى الارض، اما الذين تباطأوا فى النزول فقد ارغموا على الاسراع بقوة العصى ... اما انا فقد ذهبت الى مكان قصى، و جلست فى ظل بعض الشجيرات. فاكتشف وجودى نساء بدويات كن مستلقيات فى الظل، فاخذن يصرخن صراخا مزعجا كأن الجن قد مسهن، و علا عويلهن، و حاولت تهدئدتهن بايماءات، لكنهن ازددن صراخا، فانسحبن للحال. و قد حدث لزملائى ما حدث لى فاسرعوا بالعودة الى المركب. ثم ارسلنا خادمنا ليستفسر عن سبب العويل، فكان الجواب، انهن صرخن طالبات النجدة، و انهن ظنن اننا سنسرق اساورهن الفضية، و قد اردن بصراخهن ان يسمعن ازواجهن فيهبوا للدفاع عنهن و يمزقونا اربا اربا!

عدنا الى المركب، فسار بنا فترة من الوقت فى وسط النهر ثم توقف فى الليل، و قد ارسل قائد مركبنا هدايا لشيخ الاعراب فى تلك المنطقة ليتفادى شره، و بالرغم من ذلك فقد كنا حذرين طوال الليل، و اعددنا اسلحتنا للطوارىء و فى نحو الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ظهر الاعراب على شاطىء النهر و بانت مشاعلهم، فتهيأنا لمجابهتهم و الدفاع عن انفسنا، لكنهم صرخوا قائلين ان شيخهم أرسلهم للمحافظة علينا، فاطمأننا قليلا و قبل بزوع

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۳۸

الشمس سمعنا صراخا و عويلا، فنهضنا فزعين معتقدين ان مركبنا وقع لقمة سائغة فى ايدى الاعراب، ثم فهمنا ان النساء البدويات المسافرات معنا كن مصدر الصراخ، و سبب عويلهن ان الرجل اليعقوبى اقترب من محلهن ليسترجع عمامته و بعض امتعته التى سرقتها احدى النساء! هدأ الصراخ موقتا، ثم عاد بعد فترة قصيرة اكثر حدة، فقد صعدت المراة البدوية فوق مؤخرة السفينة و بدأت عويلا طويلا و اخذت تصرخ و تدعو زوجها الذى كان قد نزل الى اليابسة مساء اليوم الاسبق، طالبة النجدة و الثأر متهمة الشاب بالاعتداء على شرفها. و لم يكن بالامكان تهدئتها، فقد كانت تزداد صراخا و عويلا.

و اذا بالاعراب المتمركزين عند الشاطىء اخذوا يزحفون للقتال، فقد طلب زوج تلك المرأة النجدة من شيخ تلك المنطقة ليهب للدفاع عنه و عن شرف زوجته.

فصوبوا الينا بنادقهم و وجهوا نحونا سهامهم، و اذا بتاجر مسلم اسمه يوسف، رجل شهم و وقور، قام من مجلسه و رمى بنفسه الى الماء محاولا تهدئتهم، متعهدا بان يقدم اى شىء لترضيتهم، ثم صعد الربان الى المركب، و قال باسم شيخ العرب، بانه يأمر بحضور البدوية و الشاب اليعقوبى الى مجلسه ليحاكمهما، نظرا لكون الجريمة وقعت فى منطقته، و الا فان الاعراب سيقضون علينا، و عندئذ احاط الاعراب بنا من كل الجهات ...

عندئذ هبط ربان الدانك مع بعض انفار العسكر فقادوا الشخصين المتخاصمين، و تبعهم مسافرون كثيرون بعد ان اقترب الدانك من شاطىء النهر.

اما نحن فقد لزمنا موضعنا و السلاح فى ايدينا و تأهبنا للدفاع ... و قد ارسل الشيخ ابنه و رجلا من اتباعه، فاتوا على خيولهم الى حيث تجمع الاعراب لتهدئتهم و منعهم من الهجوم.

نزل بعض الراكبين الى الساحل، و فى نزولهم فقد احدهم عمامته، بينما اضاع واحد اخر سيفه، فعلا الضحك و الاستهزاء و عمت الفوضى، و بعد محاكمة شكلية، حكم الشيخ الظالم على الشاب بانه مذنب، و هذا ما يحدث

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۳۹

غالبا، كما يقول المثل «اللاتينى»: «يذنب الواحد و يتهم الآخر» فأمره الشيخ بدفع غرامة قدرها سبعة قروش نقدا، و ثلاثة قروش هدية، اضافة الى اشياء اخرى يقدمها الى الاعراب البارزين فى القبيلة. و كان من الضرورى ان يصعد اربعة من رجال الشيخ الى المركب باسم سيدهم، ليعيدوا الهدوء و الامن و يسكتوا الاعراب المتجمعين على ضفتى النهر. لقد افهمنا هذا الحادث فداحة الخطر الذى كنا فيه يوم امس عندما صرخت البدويات علينا!

لقد وعد كبير القوم بنى قومه «أو طائفته» لانهم كانوا يحملون شعارا، اعتادوا على اخذه خلال اسفارهم، و الشعار هو عبارة عن قطعة من النحاس مزخرفة و قد نقش عليها اسما «اللّه و محمد»، و القطعة المذكورة مثبتة على بيرق، فحيثما ينزلون الرحال ينصبون البيرق عاليا، و يقدمونه للتقبيل و التبرك، و يؤكدون ان المؤمنين ينالون به الشفاء من الامراض و الجنون ...

عادت البدويات فى اليوم التالى الى الصراخ، لان اليعقوبى نزل من جديد الى مجلسهن، ليسترجع بعض البطيخ «الرقى» الذى سرقته المرأة نفسها، انها و الحق يقال تشبه الباشق و المسخ! و تحول المركب من جديد الى هرج و مرج، و تراشق الطرفان التهم و المسبات فغضب الاخوان الانكشاريان و هجما على الشاب و اشبعاه ضربا و لكما و تشتيما، و لم يتخليا عنه الا بعد ان تركا اثرا للحادثة على عينه! و كانا يلحان عليه كى يعلن اسلامه، لانه اعتدى على احدى نسائهم ... و كان المسكين يدافع عن براءته و ينفى نفيا قاطعا كونه اقترف الاثم المذكور، و هنا دافع عنه، للمرة الثانية التاجر يوسف و خلصه.

و على اثر هذا الحادث امتنع الجميع عن مخالطته او التحدث معه او حتى النظر اليه، و اخذوا يتهمونه بسرقة محفظتنا. فاخذنا نرسل اليه ما يقتات به، و دعوناه للجلوس معنا، عطفا عليه و من اجل ابعاد شبهة السرقة عنه.

فى اليوم الثانى، دعا القسيس النسطورى ذاك الشاب اليعقوبى، لانه كان فى خدمته، و حثه على تقديم هدية للتاجر الذى دافع عنه اعترافا منه بجميله، و رضى الرجل بشىء قليل رمزى، لكن المسافرين الاخرين تدخلوا و اقنعوا التاجر ان لا يقبل باقل من خمسة قروش، و اخيرا ارتضى بقرشين قدمهما

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۴۰

الشاب مع الف شكر و تقبيل الايادى، ليس يد التاجر فحسب، بل ايادى الجنديين الانكشاريين اللذين ضرباه، فاكمل المسكين هذه المراسيم و لسان حاله يردد المثل «أقبل ايادى اتمنى بترها»!

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۴۱

الفصل السادس عشر تكملة السفرة الى البصرة

فى الايام الاولى من شهر ايلول مررنا بقريتين هما: المجر Maggiar و قصر (؟) Casser . و حدث هنا ان اقترب منا مركب قوى مزود باسلحة على متنه تاجر ارمنى حلبى الاصل، قادم من اسطنبول و قبلته البصرة، و كانت غاية سفره استعادة مقدار من المال يبلغ مائتى الف قرش من والى البصرة كان قد اقترضها من اخيه. فدعا احد التجار الذين كانوا معنا، و هو تاجر مسلم حلبى ايضا اسمه جبريل (او عبد الجبار؟) (Agebrail) فتمنيت ان انضم اليهم لاصل البصرة باسرع وقت، لانى كنت اخشى ان اتأخر فلا اجد سفينة تقلنى الى الهند. لكن صاحب المركب اعتذر متذرعا بان لا مكان عنده على المركب، فبقيت حيث انا اتألم من الضجر و الكسل و

الفوضى، و تكرر ارتطام مركبنا يوما بعد يوم و كان الركاب يضطرون الى دفعه. و لذا كانوا يتذمرون، و اخذوا يجاهرون بانهم لن يدفعوا اجور السفر لانهم عوضوا عنها بأتعابهم، و كادوا ان يعلنوا العصيان على ربان الدانك و على العسكريين.

و لما قاربنا منطقة البصرة، لاحظنا تأثير المد و الجزر فى النهر، بالرغم من بعدنا عن البحر اكثر من مئة ميل (فالاراضى العربية فى تلك المنطقة منخفضة جدا). و كان اصحابى قد نزلوا الى اليابسة لارتطام الدانك من جديد، و باءت المحاولات المتكررة لدفعه بالفشل (كما حدث سابقا اكثر من مرة).

و بعد مدة دفع تيار الماء الدانك الى مكان بعيد فى الضفة الثانية، فاضطر الركاب الى خلع ثيابهم و عاموا فى النهر مع بعض الاعراب بعد ان تعلقوا بقطعة من الخشب، و ذهبوا الى حيث كان الدانك، و كانت حركتهم بطيئة بسبب انحسار الماء على اثر الجزر، و كانت الارض هناك طينية.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۴۲

ان نهر دجلة بعد ان يتلاشى و يضمحل جدا .. يعود ليسترجع قواه الضائعة و انحداره الجارف، فيسير متبخترا وسط صفوف من النخيل و الاشجار المثمرة المختلفة، و تقوم على جانبيه قرى صغيرة و قلاع متناثرة شيدت باللبن، من هذه القرى : بنى (خالد؟)Beini و الدكةDechi و (؟)Amma و المنصورية (او بنى منصور؟) و القلاعCala او مدينة محمد بن السلطان (لعلها ديار بنى محمد!)Mametto figlio del Soldano و المدينةMedina و تقابلها الفتحية او الفتحةElfataia و اخيرا القرنةGorna حيث يلتقى دجلة بالفرات، بعد ان يخلفا بحيرات (اهوارا؟) واسعة على طريقهما، و اخيرا يتنازلان عن اسميهما، ليتخذ النهر الجديد المتكون من اتحادهما اسما جديدا هو حسبما يذكر حزقيال نهر «كوبار» فى شط العرب، و هو بالحقيقة نهر عظيم، و جدير بالملاحظة ان هذا النهر فى انحداره نحو البحر يحافظ على مياه دجلة عن يساره و على مياه الفرات عن يمينه.

قرر القبطان ان يتقدم الى البصرة ليدفع ضريبة المكس عن البضائع التى يحملها فى قاربه، و عن الاخرين، لكن الرياح هبت بقوة فمزقت الشراع من اعلاه الى اسفله و دفعتنا بعيدا، فجاء رجال الكمرك هناك ليستوفوا الرسوم، و لم يلقوا نظرة الى امتعتنا، فقد اعتبرونا دراويش فرنجيين،) و هذه عادة الكمارك العثمانية فى معاملتها رجال الدين).

تحيط القرنة اسوار شيدت باعتناء بالغ ، لكنها ليست ذات شأن لأنها

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۴۳

من الطين، و القرنة بلدة كبيرة على ما تظهر، و موقعها مهم نظرا لكونها مشيدة امام هذا النهر الواسع العظيم، والى يسارها فرع كبير من دجلة اذ يلتقى هناك من جديد ...

عند الاصيل نشرت الاشرعة على الصوارى، فعاد الدانك يمخر عباب النهر، و لم يكن النهار صحوا، فقد هبت عاصفة، ظننتها فى اول الامر كالضباب الكثيف، ثم ظهرت على حقيقتها، فاذا بها عاصفة رملية (و هذا امر عادى فى ضواحى البصرة خلال اشهر الصيف). اما الليل فقد كان هادئا جدا، و كان بامكاننا ان نرى على ضوء القمر حركات غريبة كان يقوم بها درويش هرم تدل على انحراف فى مسلكه ...

لقد لاحظت المسلمين خلال مدة سفرى كلها، ابتداء بمدينة طرابلس والى البصرة انهم يؤدون الصلاة يوميا، منذ الصباح الباكر عند نهوضهم، ثم فى منتصف النهار، و فى المساء عند الغروب، و هم يصلون بسجدات و ركعات و انحناءات متكررة و لم يتأخروا عن موعد اداء الصلاة، فكانوا ينزلون عن الخيل و يتركون كل عمل اخر من اجل القيام بالصلاة ... و للمسلمين ادعية كثيرة و اوراد يرددونها دائما و نحن فى المركب، يطلبون السفر الميمون الموفق ...

اخيرا مررنا بقرية «العين»Lain الصغيرة، و بجزيرة يقوم عليها بستان الوالى، فرأينا عن بعد و الفرح يغمر قلوبنا، مراكب الافرنج، ثم وصلنا الى اسوار جديدة جميلة، لكنها من الطين ايضا.

و يعتقد امير البلدة (واليها) ان بامكانه ادارة البصرة و الدفاع عنها بواسطة هذه الاسوار، و هو يقيم فى قلعة كردلان و هى حصن لا باس به.

و بعد ان وزعنا الحلوان (البخشيش) حسب العادة، استقللنا قاربا صغيرا، سار بنا فى القناة لان المدينة لا تزال بعيدة نحو ميل، و هكذا بعد سفر

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۴۴

نهرى استغرق ۲۱ يوما، وصلنا الى البصرة فى السابع من ايلول، و هو عشية عيد ولادة سيدتنا مريم عليها افخر السلام ... فاستقبلنا الرهبان بفرح لا يوصف.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۴۵

الفصل السابع عشر مكوثنا فى البصرة

قدم لزيارتنا فى الدير، كثيرون من المسيحيين الجدد، الذين اقتبلوا العماد فى كنيستنا، و هم من نصارى القديس يوحنا و يكثر هؤلاء فى تلك المناطق. و ليس لهم اسرار مقدسة و لا شريعة دينية، بل يعيشون على الفطرة، و قد ملأت الاساطير و الخرافات عقولهم ....

تقع البصرة فى بلاد العرب الصحراوية Arabia deserta و هى مدينة كبيرة، لكنها ليست جميلة، و هى غنية بالبضائع التى تردها من بلاد العرب و من اوروبا و ايران و الهند و تكثر فيها الفواكه على انواعها، و الحمضيات بصورة خاصة، و يسكنها شعب من مختلف الاقوام و الجنسيات ...

ان حاكم البصرة «أى الوالى» هو فى الواقع ملك مستقل اكثر من باشا عادى خاضع للسلطان. فقد اصبح دست الولاية وراثيا، و لذا فانه يدير شؤون المنطقة حسب هواه. و نظرا الى ان جيشه لم يكن قويا عدة و عددا، كما ان ولايته واقعة بين مملكتين جبارتين اعنى العثمانية و الفارسية، فلكى يكسب رضا الطرفين و صداقتهما، و لكى يهرع لنجدته احدهما اذا ما حاربه الطرف الاخر ، لذا كان يدفع جزية الى الطرفين، و فى الوقت نفسه كان يجتهد فى

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۴۶

تعزيز مركزه و يحصن مدينته و يقيم علاقات جيدة مع الافرنج ليتخلص من «ضغط» المملكتين .

و كان الرجل يكن للرهبان احتراما و حبا، و يتحدث معهم كاصدقاء.

و كان تجار البلدة من مسلمين و هراطقة و غرباء يزورون الدير و يطلبون مساعدة الرهبان لتمشية امورهم عند الوالى، و حدث قبل فترة و جيزة من وصولنا اننا ربحنا دعوى بواسطته ضد الاتراك انفسهم، فقد شيدوا مسجدا بالقرب من كنيستنا و عندما فرغوا من بنائه طلبوا هدم الكنيسة، بحجة ان الشريعة تأمر بذلك، و لهم مسجد اخر خارج المدينة باسم عيسى و مريم لان المسلمين يكنون احتراما عظيما للمسيح و لأمه مريم كما ورد فى القرآن.

قبل مدة قصيرة، مرت من هناك قافلة مؤلفة من عدد كبير من الابل و الخيول، تقصد مكة، ان المسلمين يعتقدون ان من يقضى نحبه و هو فى طريق الحج يعد سعيدا، و من يصل الى هدفه فانه يتقدس و طوبى لمن يموت و هو فى مكة. كثيرون هم الذين يأتون كل سنة الى الحج من مختلف الأمصار: من اسيا و افريقيا و حتى من بعض جهات اوروبا ...

عندما قدمنا الى البصرة، وجدنا فى الميناء سفية هولندية جميلة تستعد للاقلاع، و اسمها فليخلاند Flichland و كانت وجهتها سورات Suratte

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۴۷

فقررت السفر بها دون تأجيل الى فرصة اخرى (كما كان يحاول اقناعى بعض رفاقى بحجة الاستراحة من و عثاء الطريق). لكننى كنت

اقول لهم «ان السفر ضروری، اما الحیاة فلا». فاتصلنا بقبطان السفینة و بموظفیها الهولاندیین، و دعوناهم الی زیارة الدیر، فاظهروا استعدادهم لتسفیری.

و کانت فی حوزتی امانة القنصل الانکلیزی «فی حلب» و هی قطع ثلاثة من الزمرد. فسلمتها الی الاب مدبر الدیر لیرسلها الی ایران، و هکذا تخلصت منها، لانی کنت طول الطریق خائفا علیها من الفقدان، و کنت قد ضممتها مع دراهمی و الکتب الرسمیة بکل عنایة، و کنت اغیر مخبأها من وقت الی اخر خوفا من وقوعها بید الغرباء، فقد اقتل اذا ما اطلع احدهم علیها، لانی کنت احمل کتابا الی شاه فارس و هو عدو السلطان العثمانی، ولی کتاب موجه الی ملک المغول و هذا بدوره عدو الشاه الفارسی!

اتخذت خادما جدیدا ملباریا یدعی نیقولا، و کان منذ اربع عشرة سنة عند الاباء الرهبان، منذ ان حرروه من الرق و اعادوا الیه حریته، اما موسی فقد ترکته لیعود الی اهله لانه لا یفیدنی فی السفر الجدید و قد اعطیته ما یسره ثم ابدلت ثیابی الترکیة و ارتدیت الثوب الرهبانی.

فی الیوم الحادی عشر اخذنی رفاقی فی زورق الی حیث کان الهولندیون، و کان یتبعنا عن کثب قارب علیه مسلمون ایرانیون یقرعون الطبول و یزمرون علی الناء، فذهبنا من المدینة الی السفینة، و بعد ان صعدنا الیها، بلغنا سلام زورقنا و قارب الایرانیین، و هو عبارة عن طلقات ناریة تودیعیة.

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۴۹

الفصل الثامن عشر الإبحار الی کومبرو فی فارس و التوجه الی سورات فی الهند

رافقنا کثیرون الی المرکب، منهم الاب کازمیرو الکرملی، احد رهبان دیرنا (فی البصرة) و کان عالما فاهما یتقن لغات عدیدة، و هو هولندی الاصل، و کان الهولندیون یکنون له احتراما کبیرا، و قد اخلوا السبیل قبل ایام عن احد البحارة الذی کان مسجونا عندهم، نزولا عند طلبه.

فی اصیل ذلک الیوم نشرت الاشرعة للریح، فسارت السفینة تمخر عباب الماء حسب اشارات بعض الادلاء الذین کانوا یسیرون امامها لیتحسسوا قاع النهر.

صباح الیوم التالی توفی احد البحارة اذ کان مریضا، فدفن فی احدی الجزر الصغیرة، و هذه الجزر تقسم النهر الی اربعة فروع، فدخلت الخلیج الذی یبعد عن البصرة نحو اربعین میلا، السفینة فی احد هذه الفروع، و نحو الظهیرة ولجنا ثم عبرنا جزیرة یعقوب (و یزعمون ان یعقوب- علیه السلام- کان هنا) فسرنا الی الامام، حتی وصلنا فی الیوم التالی الی جزیرة خرق (؟)(Carrach) و هناک ترکنا الادلاء لمصیرنا و عادوا ادراجهم، و قد رأینا جزرا عدیدة حتی وصلنا الی میناء کومبرو «بندر عباس»، و هو میناء یقوم علی الیابسة یبعد نحو فرسخ عن هرمز ... فاطلقت سفینتنا طلقات التحیة للقلعة الجاثمة هناک فجاءنا الجواب علی التحیة من مرکب انکلیزی کان راسیا هناک، و قد نظرت من السفینة الی «جزیرة» هرمز التی کانت حتی فترة قریبة بید البرتغالیین،

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۵۰

و موقعها مهم جدا، بل هی اشهر منطقة تجاریة فی العالم، و قد قالوا عنها «لو اعتبرنا العالم خاتما، فهرمز هی حجرته الکریمة». و قد استولی العاهل الفارسی علیها بمساعدة الانکلیز، فقلت علی اثر ذلک اهمیتها و فقدت شهرتها، و قد کان هناک حصن قوی یحیط به خندق ملیء بالماء، و کان فی السابق مجهزا بنحو ۳۰۰ مدفع، فأصبح الیوم بسلاح قلیل، اذ نقل السلاح القدیم الی اصفهان مع النواقیس الکبیرة التی «اشتراها؟» الاباء الاغسطینیون . و کان الانکلیز قد علقوا آمالا عریضة علی هذا الموقع عندما ساعدوا الشاه الایرانی فی الاستیلاء علیه، فخابت آمالهم، و نعم ما حدث! لذلک ندموا کثیرا علی ما فعلوا و علی اثر استیلاء الفرس علی هرمز انتقلت الحرکة التجاریة الی کامبرو (بندر عباس)، لکن شتان بین هذا الموقع و ذاک. فهذا مکان متهدم ضیق، و مناخه حار جدا و

الجفاف فیه کبیر .. «و ذاک بالعکس».

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۵۱

الفصل التاسع عشر اخبار متفرقهٔ عن فارس

... فی السنهٔ الماضیهٔ سقط الاب کازمیرو فی البصرهٔ فریسهٔ المرض، و لم یمهله طویلا، اذ توفاه اللّه. و کان بالقرب منه فی ساعاته الاخیرهٔ بطرس جویریده و هو ابن اخی السیدهٔ معانی التی کانت زوجهٔ دیللا فاله ... و قد کان «بطرس جویریده» فی البصرهٔ ترجمانا للهولندیین ...

و قد استفسرت عما فعل الدهر بالشاب جیوفانی فیریس Giovanni Vieres الذی کنت قد نصرته عندما مررت بهذه المدینهٔ فی سفرتی السابقهٔ، فعلمت انه انتقل الی شیراز بعد وفاهٔ سیده، لیعیش هناک تحت انظار الاباء.

و کان یعیش من المساعدات التی کانت تغدقها علیه السیدهٔ الکریمهٔ اسمیکانIsmikan اخت السیدهٔ معانی المذکورهٔ، و هی عمهٔ السید بطرس جویریدهٔ ...

فکرت بالذهاب الی اصفهان لاقدم للشاه کتابا وجهه الیه قداسهٔ سیدنا

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۵۲

البابا ... لکن القیظ الشدید منعنی اضافهٔ الی انی سمعت بان الملک المذکور هو حالیا خارج المدینهٔ علی راس جیش لجب، یستعد للهجوم علی بغداد (ثم ظهر فیما بعد انه لا صحهٔ لهذا الخبر) فغیرت رأیی خوفا من ان امنع بعدئذ من الدخول الی الاراضی الترکیهٔ، لذا قررت السفر الی البصرهٔ. رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۵۳

الفصل العشرون الوصول الی البصرهٔ ... و اخبار عن الصابئهٔ

... فی مطلع شهر آب «۱۶۵۸» وصلنا الی البصرهٔ، فعلمت ان مبعوث السلطان العثمانی کان قد وصل قبل فترهٔ وجیزهٔ الی المدینهٔ، فذهبت لزیارته یرافقنی ترجمان یهودی، و قدمت له لوحهٔ جمیلهٔ تمثل شجرهٔ الاناناس، و هی شجرهٔ مثمرهٔ معروفهٔ فی الهند و کان قد طلبها منی اذ کان برفقتی علی السفینهٔ «عمادی

Amadi

»، فاعجب بها، لقد رایت الرجل مضطربا، و اخذ یستفسر منی عن اخبار حلب و اسطنبول، و کان خائفا جزعا. و قد سمعت عنه انه ذهب فی منتصف اللیل بصورهٔ متخفیهٔ و دون حرس الی بیت احد الافرنج لیستشیره ...

ثم زاره قبطان السفینهٔ «عمادی» و قائدها، فقدم لهما هدایا حسنهٔ: رداء من الاطلس المطرز الجمیل، و قطعا من الدیباج المقصب من عمل احمد اباد، و منادیل اسطنبولیهٔ منقوشهٔ ...

قبل مدهٔ قصیرهٔ قام الباشا بزیارهٔ دیرنا فی تلک المدینهٔ، و قد دخل الکنیسهٔ ... ثم البستان فراها یابسهٔ، فاستفسر عن السبب، فقیل له: قلهٔ الماء، فامر فی الیوم التالی ان تشق علی نفقته ترعهٔ من النهر الی داخل البستان مباشرهٔ فتم العمل فی فترهٔ وجیزهٔ، کما انه سمح للاب منصور، الذی کان صدیقه، ان یشید غرفا جدیدهٔ، من اجل راحته، و لفائدهٔ الدیر، و هذا ما حدث فعلا.

ان جد هذا الوالی یدعی شاهر او قاهKa و هو اول من اغتصب الولایهٔ و جعلها وراثیهٔ .

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۵۴

فخلفه ابنه علی ، ثم جلس بعده حفیده المدعو حسین Osen و لما کان الرجل قد طعن فی السن، فقد سلم الباشویهٔ الی ابنه محمد ، محتفظا بحقوق الحکم الشرعیهٔ، و رغم تقدمه بالسن فقد کانت اخلاقه فاسدهٔ، و بالرغم من علو مقامه، [فقد قام باعمال لا تلیق

بمركزه] .

عندما زار هذا الوالى ديرنا، وقع نظره على شاب روسى الاصل كان يخدم هناك فشغف به، و كان الفتى طريفا و خلوقا، فطلبه الباشا من مدير الدير، و قدم ثمنا له ۷۰۰ قرش ... فاجابه الكاهن بانه يفضل ان يقطع اربا اربا على ان يسلم ذاك الشاب المسكين ... و على اثر ذلك طلب الاب المدبر منى ان اصطحب الصبى الى ايطاليا لان حياته باتت فى خطر فى تلك الاصقاع، فقبلت المهمة عن طيب خاطر، و كان الشاب يتقن العربية و الفارسية و التركية و له المام بالبرتغالية.

و كان اسمه يوسف و قد استرقه الاتراك اذ كان طفلا مع امه على حدود روسيا فقادوهما الى اسطنبول، و هناك اشتراهما رجل ارمنى فتحنن الرجل على الطفل فاودعه الى عناية الاباء الكبوشيين الذين ارسلوه الى ديرنا، و كان الفتى فى تلك الاثناء عليلا.

و كان فى الدير غلام اخر اسمه اسكندر و اصله من بروت فى روسيا، اختطفه التتر و باعوه الى الجركس الذين عادوا فباعوه الى وزير من سادة بلاط اصفهان، و من هناك هرب بمساعدة رهباننا ثم جاء الى ديرنا. و اذ كان فى اصفهان اشهر اسلامه و اختتن ... فطلب الاب المدبر اصطحاب الشاب الى اوروبا ...

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۵۵

الفصل الحادى و العشرون السفر الى بغداد

منذ اشهر عديدة و انا اقاسى آلاما مبرحة بسبب مرض فى خصرى، ظهر عندما كنت فى مسقط فبدأت بمعالجته هنا [فى البصرة]. ثم توقفت عن المعالجة خوفا من ان اصبح اتعس حالا، و كان الحر شديدا، و قد استغرب من هذا الحر خادمنا ابلحد نفسه [و هو من سكان البلاد].

صعدنا الى السفينة فى ۱۶ آب «۱۶۵۸» و معنا كل من اسكندر و يوسف خادمينا، و قد اطلقنا عليهما اسمين فرنجيين و هما الكسندرو و كارلو.

و لما كان التونيون يسيرون ضد التيار، فان دانكنا كان يتقدم ببطء، و بعد ان عبرنا القرنة و كوى Coi و المدينتين due Medine و التركية؟ الساقية Saghe قدمنا فى اليوم السادس الى الجزائر، Gezzael فالتقينا هناك بالفرنسيين و الجنود الذين تركوا البصرة منذ شهر، فاتوا للحال للسلام علينا و استقبلونا بفرح عظيم، و اخذوا يرددون علينا كيف مات قبل ايام اكبر الجنود سنا فى الساقية و دفن هناك ....

يكثر نصارى مار يوحنا فى اطراف الجزائر Gezzael و قد اظهروا نحونا لطفا كبيرا. و قد توغلنا فى نهر الفرات فمررنا بالشالوشية (Salucia) و كوت معمر Cutimarmer و مسافر Musafar و اخيرا العرجة Arge و هذه قرية لا

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۵۶

بأس بها، يسكنها عدد من الصابئين، و قد اعطونا مقدارا من الحليب، و كانوا يشيرون الى واحد منهم كان قد اعتنق الاسلام قبل مدة، فلما شعر بان الكلام يدور عليه استشاط غضبا فاخذ يصرخ و يسب و رفع قبضته مهددا.

بعد ان عبرنا قرية العرجة تحرش بنا بعض الاعراب نحو منتصف الليل، و لما كنا على استعداد لمناجزتهم، فانهم لم يتمكنوا من مباغتتنا او ان يلحقوا بنا اذية. كما استطعنا النجاة من خطر اخر اشد، فقد مر بنا اسد هائج، و كاد ان يهجم علينا اما الخطر الاقوى فكان القيظ الشديد ...

وصلنا الى السماوة Samauat و هى قرية كبيرة، فمكثنا فيها يومين، و حدث هناك ان ربان دانكنا غضب على غلام كان يداعبه، و فى سورة غضبه كاد ان يقضى عليهما اذ رماهما من الدانك، لا لشىء الا ليتخلص من دفع الرسوم عنهما .. و كان الربان يعاقر الخمرة فتجده ثملا معظم الوقت ..

بعد ترکنا السماوهٔ مررنا و نحن فی النهر فی مناطق تکثر علیها الخیام، و فی التاسع من شهر ایلول، شاهدنا فی احدی الخیام، صبایا عربیات و هن یرقصن. و کان الرقص یجری بأن تقف الفتیات اثنتین اثنتین، تقوم الواحدهٔ واقفهٔ فوق کتفی رفیقتها و کان شعر رؤوسهن منثورا، و فیه زینهٔ «حلی؟» کثیرهٔ.

اما ثیابهن فقد کانت بسیطهٔ و طویلهٔ و لها اکمام عریضهٔ، و کن یقفن و یتراقصن و یغنین فرحات جذلات و یؤدین العابا جمیلهٔ، و کان ذلک بمناسبهٔ الاحتفال بعید الاضحیهٔ الذی یدوم ثلاثهٔ ایام. ففی هذا الیوم یقوم الاتراک «المسلمون» بنحر الاغنام و الکباش فی المدینهٔ (المنورهٔ)، اما الایرانیون فانهم ینحرون الابل.

و بعد ان یضحوا، یدخلون لزیارهٔ قبر النبی و التبرک به.

کان احد الرکاب الفرنسیین قد اصیب بالزحار (الدیزنطری) منذ بضعهٔ ایام. و قد ناولناه الادویهٔ التی کانت فی حوزتنا فی ظروف کهذه، لکنه لم

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۵۷

یستفد کثیرا، فانهارت صحته بالاکثر، و اخذ یدنو من شفا الموت، فاستسلم الرجل لمصیره و استعد بهدوء کبیر ... و کان علینا ان نهتم بامتعته، فقد جرت العادهٔ «فی تلک البلاد» ان یرث الباشا او الشابندر او الامیر اموال المسافرین المتوفین. فهم یدعون بانهم اسیاد الاخرین و کل شیء یعود الیهم.

استدعینا الربان، و بعد ان لاطفناه بالکلام، اقترح علینا «حلا للمشکل» ان ندعو المسافرین المسلمین، قبل أن یموت الفرنسی، فیقر امامهم بانه کان قبطانا فرنسیا تاه فی الهند، و لذا فلیس له امتعهٔ خاصهٔ به، الا ثیابه و عشرین عباسیهٔ فقط، ثم یعرضها امامهم. و قبل ان نجری بالفعل ما أقترحه علینا الربان، وضعنا امتعهٔ الرجل عند مساعده الذی کان فقیرا و محتاجا.

فی الیوم الثانی عشر من ایلول «۱۶۵۸» وصلنا الی الرماحیهٔ Romaia ... فازدادت آلام الفرنسی و ساءت صحته، فدعا زمیله و مساعده فاعتذر الیه عن سیئاته نحوه، و ترک له برضاه کل ما کان له من امتعهٔ و اذ کنا نتلو الصلوات من اجله اسلم روحه ...

کان صاحبنا هذا شابا لا یزید عمره عن ۲۲ سنهٔ، و کان تقیا فاضلا، و هو من نبلاء مقاطعهٔ بریتانا «فی فرنسا» ... ذهب ربانا لیحیط القاضی علما بوفاهٔ الرجل، فارسل للحال من یتأکد الخبر و یفحص الجثهٔ و یضع جردا لامتعهٔ المتوفی، فلما علم ان لیس للمیت ارثا یذکر، و اطلع علی وصیته بشهادهٔ المسلمین الحاضرین، قفل راجعا الی محله، تارکا الارث للملازم الذی اضطر فیما بعد ان یقاسم القبطان تلک الامتعهٔ.

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۵۸

بعد ان وارینا المیت الثری، و تلونا علی روحه الصلاهٔ، طلبنا من القبطان ان یزودنا بخیول تحملنا الی بغداد، کما کنا قد اتفقنا، لکنه اصر ان نکمل السفر الی بغداد بقارب صغیر، لان تکالیف القارب ارخص بکثیر. و قد اعدت الطلب بإلحاح، لان الایام کانت تمضی بسرعهٔ، و کنت لا ازال اعانی من الالم لاصابتی بالزحار، لان میاه الفرات لم تکن توافقنی، لکن الرجل عنید فی قوله، فسلمنا امرنا لله و بقینا علی مضض.

ذهبنا من الرماحیهٔ الی الکوفهٔ (؟)Cufcus فسمعنا هناک ان الاسود هجمت فی اللیلهٔ السابقهٔ علی القریهٔ فافترست بقرهٔ، لکن الاهالی اتهموا النواتی بسرقتها. فاتخذوا من ذلک حجهٔ لیهجموا علینا. فنشب شجار کدنا نذهب ضحیهٔ له، ثم هدأ الطرفان فی الآخر.

التقینا قبل ایام و نحن فی الفرات، برجل داخل سلهٔ مطلیهٔ بالقار (القفهٔ)، و معه حمامتان و کان متجها نحو الجنوب فی طریق البصرهٔ، و قد ارسل للاستفسار عن سفینتنا، فصعد الیها و کتب بطاقتین، ربطهما تحت جناحی الحمامتین و اطلقهما فحلقتا قلیلا فوقنا، ثم اسرعتا فی الطیران الی الامام، لتصلا الی عشیهما حیث ترکتا الافراخ و هناک یأخذهما صاحبهما فیطلع علی الخبر الذی یرید معرفته.

ذهبنا من الکوفهٔ الی الحلهٔ(ILe) و کنا نسیر بمحاذاهٔ شاطیء جمیل یقوم علیه نخیل کثیر و المنطقهٔ مأهولهٔ بالسکان، لکن الذباب کان

كثيرا و لم يدعنا ننام، فقد كان يهجم علينا، و يتسلل تحت اغطيتنا و ألحفتنا و داخل ملابسنا.

تقع بابل الاثرية الشهيرة هنا فى الحلة، و هذا القول يستنتج من دراسة الموقع على الفرات، و كل القرائن تدل على ذلك، كاعتدال الهواء و نقاء الدم و قرب البرج: ذاك البرج الذى يطلق عليه اسم برج (نمرودNembrod بالرغم من ان البعض يزعم ان بابل هى تلك الاطلال الواقعة بالقرب من بغداد) و الاثار التى تشاهد هنا عظيمة.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۵۹

لقد لقينا احتراما فى مراكز الكمرك التى مررنا بها. و قد كنا نقول للموظفين بانّا من جماعة طوبجى باشى اعنى قائد المدفعية فى دمشق و بغداد، و هو مسيحى من كريت، يكن له القوم احتراما عميقا و يهابون جانبه فى مختلف انحاء البلاد. كان هذا الرجل فى الجيش العثمانى مع شخص آخر اسمه جيوفانى البندقى، فى الحرب التى خاضها العثمانيون لاسترجاع بغداد و قد عقد لهم اكليل النصر، و يرجع الفضل الاكبر فى النصر الى المدفع، فجازى السلطان جيوفانى، خير مجازاة ثم ميخائيل ايضا، و اقتطع لهما قرى كثيرة.

لم نذهب لمشاهدة البرج بسبب وقاحة كارلو، و لان تلك الجهات كانت مليئة بالاعراب، و قد هجموا قبل ايام على قافلة مرت من هناك فضربوا افرادها بقساوة ضارية و قتلوا بعضهم و كان رئيس قطاع الطرق ابن شيخ تلك المنطقة، فاضطررنا إلى البقاء فى تلك البقعة يومين بانتظار قافلة من الايرانيين العائدين من الزيارةGezzara حيث ذهبوا للتبرك فى جسد احد اوليائهم .

حاول ربانا بمختلف الوسائل و الحيل، ان يبتز دراهمنا، و كان يتمنى ان لا يترك لنا شيئا، لولا خوفه من ميخائيل طوبجى اذ كان يعتقد انه فى بغداد، و كنا قد لمحنا اثناء حديثنا، اننا كتبنا اليه، بواسطة الانكليز، نخبره باننا على متن هذه السفينة.

خرجنا من الحلة مساء فعبرنا الفرات على جسر من القوارب، و قد امضى الغلامان ليلتهما فى المدينة، فقلقنا عليهما، لكنهما عادا مع تباشير الصباح، فعاودنا السفر، و بعد نحو خمسة عشر ميلا من المدينة لاحظنا اعرابا يتجمعون و يتمركزون على مسافة ليهاجمونا. و للحال اتخذنا نحن ايضا مواقع للدفاع، دون ان نتوقف عن السير، بل بالعكس، فقد اسرعنا فى سيرنا، فلما لاحظوا كثرة عددنا، و انطلت عليهم حيلة التجأنا اليها، و هى، اننا وضعنا بين

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۶۰

بندقية و اخرى عصا طويلة تظهر من بعيد و كانها بندقية، خافوا منا، فمررنا على مسافة رمية بندقية دون ان يتحركوا.

قضينا نهارا و ليلة فى خان جميل جدا، كالذى يشاهد فى فارس، و هناك ابتعنا ما يروى عطشنا، خاصة مشروبا حارا حلو المذاق، كان جزيل الفائدة للمعدة.

امتطينا خيولنا منذ الصباح الباكر، و سرنا بسرعة، دون التوقف فى الخانات التى مررنا بها.

و لما قاربنا بغداد التقينا بعسكرى انكشارى كان سفيها و قحا، فدفع له قبطاننا الرسوم المفروضة علينا، و عندما بلغنا الجسر، اذا بانكشاريين يهمون بالقبض علينا، معتقدين اننا قادمون من حلب: فقد كانوا ينتظرون بعض الفرنسيين القادمين من تلك الجهات ليلقوا القبض عليهم حال وصولهم بامر الوالى نفسه، لكن قبطاننا افهمهم حقيقة امرنا، فدخلنا الى المدينة، و بعد ان فحص رجال الكمرك امتعتنا، ذهبنا الى بيت الكبوشيين، الذين استقبلونا بحب و ترحاب.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۶۱

الفصل الثانى و العشرون كلمة عن النساطرة

لم يكن قد مضى زمن طويل منذ ان تبوأ وال جديد مدينة بغداد و هو صهر السلطان . و حدث ذلك على اثر مضى الوالى السابق ، الذى كان، و الحق يقال، يكن للاباء الكبوشيين احتراما و تقديرا، و ما ان قدم الباشا الجديد، حتى ذهب بعض ضعاف النفوس المتحاملين على الاباء فوشوا بهم

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۶۲

عنده، فاضطهدهم و وضع يده على ديرهم، و هدم بيعتهم، و اقام مكانها مسجدا، ثم كبلهم بالحديد و اوقفهم «امرهم بالاقامة الجبرية» فى بيت احد المسيحيين و منعهم من الخروج، فعاشوا فترة من الزمن حياة تعيسة، و قاسوا الامرين، لكن «الباشا» بعد ان بحث عن الحقيقة، ظهرت له براءتهم و بانت نقاوة سيرتهم، فاشترى بيتا جديدا، احسن من السابق، و جعل من الطابق الارضى معبدا و سلمهم اياه، فعادوا الى البيت فرحين.

و لما كانت بغداد مركزا لاتباع نسطور ، فلا بد من ان انوه عنهم بكلمة ... و لا يزال اتباعه الى يومنا هذا، و لو ان عددهم ليس كبيرا فى هذه المدينة، لكنهم كثيرون فى اطراف الموصل، اذ يبلغ عددهم هناك نحو اربعين الف ...

ان الاكليروس و العلمانيين الانقياء يتناولون القربان بايديهم، و يشربون من الكأس ايضا، اما سائر المؤمنين، فانهم يتناولون القربان من يد القسيس، بعد ان يبلل الخبز بالخمر ...

ينتخبون اساقفتهم و بطاركتهم من بين الرهبان فقط، و يقوم البطريرك على اثر تعيينه من قبل سلفه بشرط ان يكون قد امتنع كليا عن اكل اللحم.

يعتبرون انفسهم كاثوليك فيطلقون هذه الكنية عليهم، و يلقبون أنفسهم بالبابليين، و يقولون بانهم يؤمنون بكل ما علمه الحواريون. يعيشون فى جهل مطبق ...

لهم بطريرك يقيم فى القوش Alcus بالقرب من الموصل ...

زارنا كثيرون من اتباع الوالى و عبيدة (بينهم عدد كبير من اصل نصرانى) فواحد من مالطة، و الاخر من باليرمو و الثالث من سيراكوزه (ايطالية) او من اسبانيا و فرنسا ... و اظهروا لطفا كبيرا نحونا ...

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۶۳

ناولت «القربان» الى نساء عديدات من اهل البلد، و لهن عادة التقرب و هن واقفات، اذ يعتبرون الوقوف علامة اكرام و تبجيل.

لا حظت عادة اخرى عن الاتراك انهم يحيون باليد اليسرى! ...

لقد ظهر لى ان الامبراطورية العثمانية كلها فى حالة من الفوضى لا تحسد عليها، فانتصارات اهل البندقية المتتالية، اولئك الذين اصبح لهم قوة كبيرة يحسب لها الف حساب، من جهة اخرى كان حسن باشا والى حلب واغا التركمان قد اعلنا العصيان و اتفقا مع والى دمشق و القدس، و مع رؤساء اخرين، فجمعوا جيشا عرمرما مؤلفا من جنود مدربين، و زحفوا على اسطنبول مهددين قاعدة المملكة بالخراب. عندئذ اصدر الباب العالى امرا الى جميع الولاة (الباشوات) ليجمعوا عساكرهم لمجابهة ذلك الجيش، و أن يجتهدوا ليحولوا دون اتفاق اولئك «العصاة» مع الشاه الايرانى، اذ كانوا يعتقدون «هناك فى الباب العالى» بوجود اتفاق بين المتمردين و العاهل الايرانى. و كان مرتضى باشا قد وصل الى حدود الموصل على راس جيش قوامه ثلاثة عشر الف جندى، دون نظام، و كان جيش الثوار من الطراز نفسه، و كانوا «اعنى جنود مرتضى» يهاجمون القرى الآمنة و المسافرين، و القوافل ايضا، فيسلبون و يقتلون.

ان هذه الاحوال المضطربة حملتنى على ترك طريق ما بين النهرين و السير فى طريق الصحراء مع دليل و برفقة جنود و خادمين اثنين، بصحبة القس الياس ، الذى كان نسطوريا فتكثلك، و هو ابن اخى بطريرك تلك الطائفة و قد

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۶۴

اخبرنى القسيس انه يقصد السفر الى روما للتبرك، و لاجل امور خاصة به، و قد اوصتنى عليه امه بدموع غزيرة كما اوصانا عليه اخوته و الاباء و الكبوشيون.

اتخذنا لنا دليلا يعرف الطريق، ندفع له ثلاثة و ثلاثين قرشا، ثم اشترينا الخيول و أعددنا ضروريات الطريق، و قبل ان نبدأ السفر انتشر خبر مفاده، ان الباشا امر بالقبض على الافرنج القادمين من حلب، فتخوف «الشاطر» اعنى الدليل و عدل عن السفر، فوجدنا دليلا ثانيا،

نـدفع له اربعين قرشا، و هـذا بـدوره غير فكره و امتنع عن السـفر. فاضـطررنا إلى الانتظار ريثما يصل الافرنـج مع القافلة القادمة، فما ان دخلوا بغداد حتى تم القاء القبض عليهم وزجوا فى اسطبل احد الاغوات الكبار.

كان هؤلاء الافرنج الماركيز درفيل Dereville ، و رفيقه المدعو ميركانتى Merchanti و كانوا يقولون انهم فى طريقهم الى الهند عن طريق البصـرة، و لم يكن معهم من المال الا اليسير، اضافـة الى ساعـة، يقـدر ثمنها بثمانين قرشا، و بعض الاسـلحة و مجموعـة من الرسائل. فصادرت السـلطة هـذه الاشـياء كلها للحال، لكن هؤلاء كانوا اوسع حيلـة و ابعد نظرا اذ كانوا يتوقعون هذه الاحداث، لذلك كانوا قد وضـعوا الاغراض المهمة و الثمينة امانة عند بعد الارمن الذين كانوا معهم فى القافلة، و قد قدم هؤلاء- الارمن- شـهادة حسنة بحق الافرنج اثناء الاستجواب.

ارسل الوالى فى طلب رئيس الاباء الكبوشـيين و امره ان يترجم بكل امانة تلك الرسائل المصادرة الى اللغة التركية، كما امر ان يحضر معه مملوكه الفرنسـى عمر. فتعاونـا لتكميـل ارادة الباشـا، لكنهمـا اتفقـا على ان يغضـا النظر عن كـل مـا فى الرسائـل من امور قـد تثير الشـكوك، و لم يكن فى بغـداد غيرهما من يتقن اللغة الفرنسية، لكن الوالى كان قد عرف بان أحد الافرنج هو سـفير البندقية الى شاه ايران جاء بمهمة خاصة و هى ان يحثه على مهاجمة بغداد، لذلك قرر ان لا يطلق سـراحهم، بل وضـعهم فى مكان ارحب و انظف من الاسطبل! و سمح لعبيده الافرنج بان يذهبوا لزيارتهم و يقدموا لهم المساعدة اثناء الطعام للاطلاع على اشياء كثيرة.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۶۵

كان اثنان من الارمن، من اصـدقاء الماركيز المـذكور، قـد هجم عليهما اعراب الصـحراء، فضـربوهما فى الرأس و فى الساعـد الايسـر، بـالرغم من انهمـا كانـا فى عـداد افراد القافلـة المؤلفـة من اكثر من مئـة مسـافر، لـذا كانـا يقولان لنا، انكم ان سافرتم بطريق الصـحراء فسـتلاقون حتفكم من كل بد، و هذا ما اكده سـباهى الوالى، و هو فرنجى الاصل من مدينة تريفزو ، الذى عاد من اطراف الموصل، و قـد جرح جرحـا مؤلمـا فى كتفه اليمنى، و كـان يردد انه متى مـا تم اخضاع الاعراب، فمن الضـرورى التوجه لاخضاع التركمان الـذى كانوا يتجولون فى جهات حلب.

كان كارلو (خادمنا) سـبب نفوق احسن خيولى ثم تمرض حصان آخر، و اصـبح كارلو و اسكندر اكثر وقاحة مما كانا عليه من قبل. و لم نتمكن من العثور على دليل جديـد، و حـدث فى تلك الايام ان قافلـة بارحت بغـداد متوجهـة الى ايران، فما ان عبرت باب المدينة حتى هوجمت، و تبلبل افرادها شـذر مذر، و كانت الخسارة نحو ۵۰۰۰ قرش اضافة الى موت بعض المسافرين! و قيل ان اللصوص هم من اتباع الوالى المقربين!

ان هذه الحوادث المتتالية حفزتنا على السفر باسرع ما يمكن فى طريق الصحراء مهما كان الخطر فاجتمعنا للمشاورة، لكننا لم نصل الى قرار، و اجمعت اراء الاكثرية على العودة الى البصرة، او الذهاب الى اصفهان، فينتظر اياما احسن و فرصا مواتية فى السنة القادمة، او ان نرجع من جديد الى الهند.

اخيرا، رأينا ان نقدم خدمة لله تعالى مع ما فيها من خطر على حياتنا، فقررنا ان نقوم بها.

فوجدنا دليلا يمكن الركون اليه، رغم افتقاره الى الخبرة الكافية فى

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۶۶

الطرق، قبـل ان يرافقنـا لقـاء مكافأة قـدرها اربعون قرشا، فاشترينا حصانا ليحل محل الحصان النافق، و كان الحصان الثانى المريض قد تعـافى، فاسـتعددنا للسـفر، كمـا اشترينـا خبزا و زبيبا لاكلنا، و لم ناخـذ الا الاغراض الضـرورية، و تركنا بقيـة الامتعـة امانـة عنـد الاباء الكبوشيين ليرسلوها مع اول قافلة تتجه الى حلب.

بعد اتخاذى هذا القرار، شـعرت بالغم يهاجمنى، كما ساورنى شـعور داخلى بقرب اجلى، فسـيطر على الارق، و فى الفترات القليلة التى كنت انام فيها، كانت الاحلام المزعجة تقضى على منامى، فكنت ارانى مثخنا بالجراح فى قلب الصحراء و منازعا اودع الحياة! ...

ارسلت عمر و بعض الخدم الاخرين الى درفيل (السجين الافرنجى) لا حيطه علما بسفرنا، فطلب منا ان نخبر القنصل بيكيت فى حلب بما حدث له، ليهتم بكل الطرق و الوسائل من اجل اطلاق سبيله.

اما الخادم جابيلان فقد احب البقاء فى خدمة الاباء الكبوشيين، فاخذنا عوضه شابا سوريا حلبى الاصل، لاننا اردنا ان يزداد عددنا، فاشترى الرجل حصانا، و هكذا صار عددنا تسعة انفار، اعنى: الاب رفيقى و انا، الجنديان، الخادمان اسكندر و كارلو، القس الياس، الشاطر (اى الدليل) و اسمه الحاج بركات (حاجى بركاتىAgi Paracati و الشاب السورى.

تركنا بغداد فى العاشر من تشرين الاول (۱۶۵۸) قبل هبوط الظلام، بعد عشرين يوما من الاقامة فيها، فخرجنا من باب المدينة، و لم نلق اذية عند البوابة او عند عبورنا الجسر، نظرا لوجود شاب من بطانة الوالى اسمه مصطفى رافقنا الى الباب مع كاهنين كبوشيين، ولكن ما إن تركونا، حتى ركض فى اثرنا عسكرى انكشارى، لم يتجاسر على الكلام امام مودعينا، فطلب منا رسوما، فكان لا بد من ان نلبى طلبه، و كان كارلو يتبعنا عن بعد، فاقترب منه العسكرى و طلب الرسوم، و اذ لم يكن معنا عندما دفعناها، فقد اداها من جديد كاملة عن الجميع! ..

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۶۷

الفصل الثالث و العشرون سفر خطر الى حلب

امتطينا خيولنا و سرنا طوال الليل، لكننا ضللنا الطريق، و توغلنا فى ارض سبخة، ثم التقينا برعاة ارشدونا الى الطريق الصحيح، و بقينا نسير تلك الليلة و فى اليوم التالى دون التوقف للاستراحة، و كنا نتجنب الدروب المطروقة، و الاماكن المأهولة التى كنا نراها من بعيد، لنتوقى شر الاعراب فلا نعطيهم فرصة لمباغتتنا، فالمعروف عنهم، انهم ينتشرون فى البادية، فاذا ما لمح احدهم المسافرين او احدى القوافل، يسرع فيخبر جماعته، فيجتمعون للاجهاز على القافلة.

و بعد ان سرنا فى فيافى قاحلة لا نهاية لها، دخلنا فى منطقة كلسية و عرة المسالك، لنبتعد عن قطاع الطرق، فقد نشعر بقربهم منا، بالرغم من عدم رؤيتنا لهم، و عندما اقتربنا من الفرات، توقفنا لنريح الخيول بعد تعب طويل، و اعتدنا ان نستريح مرة واحدة كل اربع و عشرين ساعة فقط، لنأكل لقمة يابسة و التمر و الزبيب، و لم نكن ننام الا نحو ساعتين من الزمن، نتناوب خلالها الحراسة ... ان الجنديين اللذين رافقانا كانا على طرفى نقيض فى طباعهما، احدهما سريع الى الغضب، اما الاخر فمسكين، يفتقر الى الشخصية، يتذمر اكثر الوقت، تارة من السفر المضنى و تارة من مرض خيالى يتصوره، و تارة اخرى من اخطار السفر، و لذلك كان يبكى احيانا، و يرمى نفسه على الارض فيتمرغ بالتراب و يطلب العودة، فكان يبتعد عن باقى المسافرين، رغم ما فى الابتعاد عن الاخرين من اخطار، و لذلك كنا نحثه على السير، و كنا نهمز حصانه من وقت الى اخر ليسرع بالسير.

اما الشاب السورى الذى اتخذناه خادما بناء على توصية الاباء

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۶۸

الكبوشيين، فقد ظهر المسكين ناقص العقل و غريب الاطوار، فنسى انه يرافقنا من اجل تقديم الخدمة لنا، و كان فى صراع متواصل مع الدليل يطلب منه بإلحاح ان يخدمه!.

فى اليوم الثالث من سفرنا فقدنا ما كان معنا من الماء، فعطشت الخيول، و عند المساء مررنا بالنهر، فشربت و أكملنا المسير، و مررنا بطريق خطرة، فكنا نسير بصمت تام، فقد حرم الدليل علينا الكلام بل العطسة ايضا! و فى الصباح غلبنا نعاس ثقيل فسقطنا كلنا عن خيولنا، لذلك سمح لنا المرشد ان نستريح مدة ساعة و لما امتطينا الخيول عاد النعاس يداعب اجفاننا ... و بعد مدة وصلنا الى عانة الواقعة على الفرات، و كان اليوم الرابع من سفرنا، بينما لو كنا فى ركب قافلة كبيرة لما وصلنا الى هذه المدينة فى اقل من عشرة ايام.

كان الحاج بركات من اهل عانة، لذلك اخذنا الى بيته، و هناك تناولنا الطعام على الطريقة العربية و كان تمرا و سمنا، و دفعنا رسوم

المرور قرشين عن كل نفر اضافة الى ما دفعناه من قبل عند عبورنا النهر.

ان دليلا- قادما من حلب، اخذ يروى لنا عن كثرة اللصوص و انتشارهم فى الطرقات، ففكرنا باصطحاب دليل اخر اكثر جرأة و اوسع خبرة من مرشدنا. فوجدنا شابا اعرابيا مقداما، ثم قيل لنا انه خائن و هو على علاقة بقطاع الطرق، و من جهتنا فاننا و الحق يقال لم نركن اليه و لم نرتح، اذ كان يزورنا دائما و يجلس الينا، و يضرب على آلات الطرب بطريقة تثير الازعاج.

مرت ايام ثلاثة و لم نعثر على ضالتنا ... و كانت الخيول قد استراحت من تعب الطريق، فقررنا السفر، و اذ كنا فى وسط المدينة (و جدير بالذكر ان مدينة عانة طويلة جدا، و تقع بين التلول من جهة و النهر من الجهة الثانية)، تصدى لنا عربى متسربل بالسواد من اعلى كتفيه الى اخمص قدميه، و على راسه عمامة حمراء، و له مسدسان على حقويه، و خنجر كبير فى وسطه، فقال لنا: الى اين انتم ذاهبون؟ اتسيرون الى الموت؟ الا- تعلمون ان الطرق كلها مليئة باللصوص فى ارجاء الصحراء؟ انى و اللّه لولا مخافة ربى لتركتكم تسيرون الى حتفكم، لانكم و ايم الحق تستحقون الموت بسبب تهوركم،

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۶۹

لكننى اشفق عليكم، انى من اتباع الافرنج، و لذا اريد ان ارافقكم و ارشدكم فى طرق سليمة، كما فعلت مع اخرين من قبلكم، و اعطونى كما ترتاؤون. و اذ كان الحاج بركات رعديدا، و قليل الخبرة فى الطرق البعيدة، فقد ألح علينا كى نقبل الرجل، و اكد انه يعرفه شخصيا و انه جدير بالثقة. فاتفقنا على اثنى عشر قرشا، فقادنا الرجل الى بيته، و احسن ضيافتنا، فلما حل الظلام عدنا الى الطريق كما اننا كنا نسير فى النهار ايضا و تابعنا السير فى الليلة التالية.

ثم علمنا اننا سنقترب من قافلة ميخائيل طوبجى الذى كان عائدا من دمشق متوجها الى بغداد، كما كان يفعل كل سنة، فيمكث هناك الى نهاية كانون الثانى ، فتمنينا ان نراه و لذلك اخذنا ننصت فى الليل الى وقع حوافر خيول قافلته، فعلمنا انه قريب، فذهبنا للقياه و تقديم احترامنا له.

كان يسير فى ركابه عدد كبير من الجنود، معهم طبول و بيارق خفاقة، وراية مقدسة محمولة على جمل. فلما اخبروه بقدومنا و تعرف علينا ضرب ركبته بيمناه قائلا، وا ويلاه، اتذهبون الى نهايتكم؟ انه و اللّه تهور فظيع! لقد رأينا اليوم بأم اعيننا ستين واحدا من قطاع الطرق يعبرون الفرات، فبينت له ضرورة السفر، كما قلت له ان ثقتى بعناية اللّه عظيمة، عندئذ اطلق عيارا ناريا من بندقيته فاتى للحال ابنه «بولس اغا» و كان شابا له من العمر نحو ست عشرة سنة، فامره ان يكتب لى جوازا، يبين فيه اننى من اقاربه، او بالاحرى ابن اخيه، و يشهد انه قد ارسلنى الى الباب العالى، لامور مهمة، يجب ان ابحثها مع السلطان نفسه، و وقع عليها بختمه الخاص (و هو خاتمه الخاص).

عندئذ اخبرته عن اعتقال الماركيز، و طلبت منه ان يسعى لاطلاق سراحه فوعدنى خيرا، ثم اردف: على ان لا يكون ذاك الشخص الذى التقى به فى

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۷۰

دمشق فأتعبه كثيرا، و قد ادعى انه ذاهب الى ايران لامور خاصة به، و قد نصحه بالعدول عن السفر، ثم عاد اليه عشية سفره، و اذ لم يلتق به فى البيت، فقد كتب على جدار بيته «لا تكمل الطريق فسينفضح امرك»، ثم قال لى أمورا عديدة لا اتمكن من نشرها، و روى لنا عن جيش حسن باشا العظيم، و عن اعتقال سفير فرنسا فى اسطنبول و عن احداث اخرى، انتشرت فيما بعد فى العالم كله، و بعد ان ابدينا شكرنا الجزيل لحسن ملاقاته و كرم ضيافته ودعناه بسلام، و قد اوصى بنا كثيرا الى المرشدين، فعاودنا السفر و هو بدوره اكمل طريقه.

وصلنا فى منتصف النهار الى بعض الخيام، فاذا بامارات الضعف و الجبن تظهر على دليلنا الجديد، ذاك الفارس المغوار، و اسمه رجبRecepe اذ قرر تركنا! و لما ابتعدنا عن تلك الخيام، رأينا خمسة اشخاص يركضون نحونا، و قد اطلقوا لخيولهم العنان،

فتولانا الخوف، و شككنا فى امرهم، لكننا فهمنا من احدهم انهم عبيد و قد وجدوا فرصة مؤاتية لاسترجاع حريتهم فهربوا!

ظهرت عن اليمن (؟)Sciaras و عن اليسار (؟)Masciati ثم (؟)Zaban و هى قرى صغيرة تقوم فى وسط البطحاء. اما نحن فقد اهملنا طريقMasuati بالرغم من انه الدرب المسلوك عادة، لكن الامان فيه قليل، و سرنا فى طريق تقودنا الى النهر، و قد لمحنا عن بعد ظلال (رجال؟) و للحال اطلق رجب الشجاع حصانه للريح دون ان ينبس ببنت شفة، فلم نسر فى اثره ...

و عملنا بموجب خطة اقترحها علينا الحاج بركات، اذ اكملنا السير بعد ان استعددنا للقتال، و قررنا عدم الافتراق الواحد عن الاخر، و فى حالة الهجوم، علينا ان ننزل حالا الى الارض، و نستغل الخيل كموانع للدفاع، فنمسك اعنتها باليد اليسرى، و نحارب باليمنى. و بينما كنا نضع هذه الخطة، كنا نستحث الخيل و نبتعد شيئا فشيئا دون ان نظهر ضعفا، فتلاشت الظلال عن نظرنا، و ابتعد الاعراب عنا، و بعد سويعات رأينا ذاك الجندى المقدام (رجب) مختبئا بين الادغال فظهر للعيان ضعفه و بانت خيانته، لكنه بدأ يدافع عن نفسه ملفقا

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۷۱

الاكاذيب، مدعيا بانه سبقنا ليجد اماكن حصينة، و ليطلع على عدد المهاجمين و جنسيهم (اى الى أى قبيلة ينتمون). و قد اخذ الخدم يضحكون و يستهزئون من الفارس العظيم، فحاولنا جهدنا تهدئتهم، خوفا من نشوب العراك فيما بينهم.

عند حلول المساء، اقترح القس الياس، انه ليس من باب الفطنة ان نعرض جواز السفر الذى زودنى به ميخائيل طوبجى، فالرجل مشهور و معروف عند الجميع بانه نصرانى، و قد كتب فى الجواز انى ابن اخيه، و هكذا اعلن عن نصرانيتى، و قد يستنتج قراؤه ان كل افراد القافلة نصارى، فتكون العاقبة و خيمة، و كان الدليلان من رأى القس الياس، ثم اقترحوا ان يقال- عند الحاجة- بانى تترى مرسل باسم والى بغداد السلطان، لقد قرروا كل ذلك دون علمى، و على اثر قرارهم، ذهب الجندى مرافقنا الى خيام غريبة ليعلن عن قرب وصولنا، ففرشوا الابسطة وصفوا الوسائد لنتكىء عليها، و استقبلونا و الحق يقال باحترام بالغ، و بعد سويعات قدموا لنا خبزا مصنوعا من القمح كبير الحجم، لكنه كان ملوثا بالفحم و الرماد، و وضعوا امامنا شاة مطبوخة فى وعاء كبير من الطين.

كنا فى حالة من الجوع لا- توصف، و كان اليوم نهار السبت، فاردت الامتناع عن تناول الطعام ، لكنى خفت ان يعطى صيامى مجالا للشك عند الاعراب، فطلبت منهم شيئا من اللبن، مدعيا بانى و زميلى الاخر نشعر بألم فى المعدة، فاحضروا اللبن فى الحال مع دهن حار، فاكلنا، و سمحت لمرافقينا المسيحيين ان يتناولوا اللحم ... و عند شروق الشمس سافرنا من هناك، فوصلنا فى اليوم التالى الى بلدة كبيرة يحيطها سور، اسمها الديرDer

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۷۲

فذهبنا الى مضارب البدو ... فاستقبلونا بحرارة، و اجلسونى فى صدر ديوانهم ... و اجتمع القوم بنا ... و كان الجميع ينهضون و ينحنون امامى كلما نهضت او هممت بالدخول الى احدى الغرف ... ان بساطتهم تثير الاعجاب العميق.

كاد هذا المجلس الطيب ان يتحول الى مأساة مريرة، عندما وصل رجال يهود، فاخذوا يتفحصوننا جيدا، ثم صرحوا باننا من الافرنجة، لكن الدليلين انكرا ذلك، اما الجندى فقد انتهز الفرصة لعله يجنى ربحا دنيئا، فاقنع الحاج بركات و هكذا اعترفا بالحقيقة الى حارس الديوان، و انتشر الخبر بين الجالسين كانتشار النار فى الهشيم، فاذا بشاب يرتدى جبة من الحرير الاطلس قام فى وسط المجلس و بيده هراوة غليظة، و قال انه شاهبندر البلدة، و لذا فهو يطالب بالرسوم (... و بعد اخذ ورد ...) ارضيناهم بقرش عن كل واحد من المرافقين ... ثم ما لبثت ان رأيتهم يتقاسمون المبلغ ...

تمرض احسن حصان كان عندنا، و كان متعبا و جريحا، و لما اردنا تبديل نعاله، طلبوا قرشا لكل مسمار ... و كانت مؤونتنا قد نفدت ... اما المملوكان فكانا فى نقاش مستمر، و قد اراد كارلو التخلى عنا ... و قد فحص احد الاشخاص الخبيرين بالخيول حصاننا المريض فقال ان السير السريع يفيده ... و بعد ان اشترينا زادا لنا، و علفا لحيواناتنا، و بعد ان هدأت الحال بين خدامنا، قررنا السفر، و قد تقدم رجل من اهل المنطقة ليرافقنا فى السفر الى حلب، و كان مزودا بالسلاح، فبعد ان اتفق مع دليلنا، تركنا بلدة الدير فى مساء اليوم الثالث

من وصولنا، فجبنا الفیافی طوال اللیل، و لم نسترح الا فی فترات قصیرة، حتی وصلنا الی منطقة هی اخطر المناطق فی بلاد العرب کلها، و هناک کان خیالنا یصور لنا وجود اللصوص فی کل خطوة و وراء کل اکمة! ...

خلال اسفاری فی آسیا، فی طریق الذهاب و بطریق الایاب، لم تمطر السماء ابدا، و حدث فی ذلک الیوم ان تلبدت السماء بالغیوم، و انهمر المطر علینا مدرارا ... فصرنا نسیر فی وسط الوحول، و فی منتصف النهار توقفنا

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۷۳

قرب ابار عمیقة الغور، کان ماؤها اجاجا، یشوبه طعم الکبریت، و فی اخر النهار، وجدنا بئرا ماؤها عذب.

کثیرا ما کنا نسیر فی دروب مطروقة من القوافل، لذا اخذنا نهتم بمراقبة النجوم ... و کنا بحاجة ماسة الی الماء ... انقضی یوم اخر، و کنا نسیر فی الطریق المؤدی الی عین طیبة Taiba و هی موطن ابینا المعظم ایلیا (حسبما یؤکد بعض المؤرخین). فاقترح الجندی علی ان نتزود هناک بالطعام. ولکننا لم نتوقف لان تلک البقعة کانت ملیئة باللصوص، و لان دراهمنا کانت قلیلة، فاکملنا مسیرتنا ... مضینا الی قریة سیبیلا Sibilla و هناک لحق بنا السوری دون حصان، و اخبرنا قائلا بان حصانه لم یعد یتمکن من مواصلة السیر، و استضافنا شیخ القریة معتقدا اننا تتر فاحسن و فادتنا، و ارسل الشیخ رجاله لیحضروا حصان السوری، ثم سرنا من هناک، بعد ان ابقینا الحصان العلیل عند الشیخ کی یعالجه، کما بقی عندهم اسکندر و الشاب السوری کی یستریحا هما ایضا من تعب الطریق، علی ان یلحقا قافلتنا متی ما تعافی الحصان لیکملا طریقهما الی حلب ... و قد مررنا بقری عدیدة، و فی منتصف الیوم التالی بانت مدینة حلب من بعید، فغمر قلوبنا فرح لا یوصف و رفعنا نشید الشکر لله، و اکملنا طریقنا الی باب المدینة فدخلناها مغتبطین.

و عند وصولنا الی محلة الافرنج سقط احد الجنود عن حصانه، و بقیت رجله متعلقة بالرکاب، فجره الحصان بضعة امتار فوق ارض حجریة صلبة، و بالرغم من الحادث الخطر فقد قام الرجل سالما و لم تحدث له

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۷۴

کسور، فکانت معجزة من السماء! اما الحاج برکات فلما رأی نفسه قد وصل سالما الی حلب قرر ان یکمل نذرا کان قد قطعه علی نفسه، و هو توزیع لحم کبش علی الفقراء مع کمیة من الرز، فاسرع لیکمل نذره.

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۷۵

الفصل الرابع و العشرون مکوثنا فی حلب، و اخبار متفرقة

ما ان بلغ خبر وصولنا الی الاب برونو Bruno ، حتی خف لاستقبالنا مع لفیف الرهبان الاخرین، و خرجوا للقیانا الی ظاهر المدینة.

و ارسل القنصل الفرنسی بیکیت ممثلا عنه لیبلغنا تحیاته، و قد انتظرنا مجی الشاهبندر لیفحص امتعتنا، فتأخر قلیلا، و عندما وصل، استغرب لقلة اغراضنا و تفاهتها، و ساورته الشکوک فی أمرنا خاصة بعد ان علم اننا کنا فی الهند، فاخذ یضغط علینا بمختلف الطرق ...

صباح الیوم الذی وصلنا فیه الی حلب، سافر ثلاثة کهنة من رهبانیتنا الکرملیة مع اثنین کبوشیین الی ایران، برفقة قافلة متوجهة الی الموصل ...

مکثت انا و رفیقی الکرملی و الخدام فی حلب ننتظر اول سفیة تمر بمیناء الاسکندرونة لنعود الی بلادنا ...

کان القنصل الفرنسی رجلا غیورا هماما، مستعدا علی الدوام لمد ید العون الی الجمیع من اجل خیر النفوس و قد استطاع بطریقة او باخری

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۷۶

اکتساب ثقة بطریرک الیعاقبة، الذی، کان مستعدا لتلبیة طلبات القنصل نظرا لافضاله علیه، و لما کان کرسی حلب الاسقفی لیعاقبة

شاغرا، فقد انتهز الفرصة و حث البطريرك على تعيين اسقف و هو شخص اسمه اندراوس من طائفته نفسها (لكنه كان متشبعا بالتعليم الكاثوليكى نظرا لاحتكاكه بالاباء- الكرمليين و كان رجلا ورعا)، كما طلب من البطريرك بان تجرى رسامة اندراوس الاسقفية على يد بطريرك الموارنة فى جبل لبنان، لان اندراوس المذكور كان موجودا هناك. فوعد البطريرك و اعطى كلمته، معتقدا انه لن يكون لوعده انعكاسات او تأثر على المدى البعيد، و ان باستطاعته ان يوقف المطران متى ما يشاء. لكن الاحداث اخذت تجرى بسرعة لم يكن يتوقعها، فهرب من حلب بعد ان امر المؤمنين بان لا يستقبلوا المطران الجديد ابدا، و كان القنصل المذكور على علاقة طيبة بالباشا و قد سبق ان كسب عطفه، لذلك طلب منه ان يامر بعودة البطريرك الهارب من ملجئه و يأمره بعد وصوله ان يكتب الى الشعب ليخرج امام المطران اندراوس، و حصل على كتاب «براءة» للمطران من الوالى ، و على كتاب اخر من الباب العالى ...

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۷۷

الفصل الخامس و العشرون إلمامة عامة عن الامبراطورية العثمانية

كانت مدينة حلب هادئة جدا، بالرغم من الثورات العديدة المنتشرة انذاك فى اسيا، و كان يحكم المدينة انذاك نائب باشا (اى بالوكالة) ، و كانت الاضطرابات المتفشية فى الامبراطورية العثمانية المنهارة مدار حديث القاصى و الدانى، فالجميع يتوقعون خرابها القريب، و قد تناقلت الالسنة خبرا مفاده ان مياه النهر عندما انحسرت، ظهرت قطعة من الرخام كتب عليها بحروف قديمة ان سقوط الامبراطورية العثمانية قريب!.

عندما القى القبض على السفير فى اسطنبول بتهمة التجسس لحساب اهل البندقية ، قيل انذك ان مفتى العاصمة الاكبر اقترح فى ديوان القضاء ان يقتل جميع الافرنج القاطنين فى الامبراطورية لانهم جواسيس. لكن اعضاء دار الافتاء كانوا اكثر تعقلا و درايةً، فعارضوا الاقتراح، بالرغم من اقتناعهم بصحة

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۷۸

التهمة الملصقة بالافرنج، لكنهم لا يريدون جلب نقمة عظيمة على الامبراطورية قد تكون الحرب احدى نتائجها.

لو كانت الامبراطورية العثمانية مأهولة بالسكان عامرة بهم، كما كانت عليه فى عهد ملوكها، الروم، لاصبحت قوة لا تقهر، تخيف العالم كله، نظرا لاتساع رقعتها و عظمة هيبتها ... و بالرغم من تلك العظمة فان وارداتها لا تتعدى ثمانية ملايين قطعة من الذهب، و ليس بامكانها جمع جيوش كبيرة كما كانت تفعل فى السابق، اما عن عدد سكانها فهو فى تراجع مطرد، و معظم اراضيها غير مزروعة، و قد نقصت وارداتها كثيرا، و بالرغم من ذلك كله، فهى لا تزال تحارب البندقية ...

... تركنا حلب الى الاسكندرونة فى ۳ تشرين الثانى (۱۶۵۸) بعد ان مكثنا فى الفيحاء ثمانية ايام ... صعد معنا الى السفية القس الياس، ولكن قبل ان تبحر السفينة ارسل القنصل الفرنسى فى حلب فى طلبه، ثم سافر فيما بعد على حسابه (حساب القنصل) الى مرسيلية ... و من هناك ذهب الى روما ...

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۷۹

الفصل السادس و العشرون الإبحار الى البندقية

اشارة

اقلعت السفينة من اسكندرونة فى الثامن من تشرين الثانى (...) و فى الثانى عشر من كانون الاول وصلنا البندقية، فانتظرنا فترة فى الميناء حتى تمكنت السفينة من الرسو ... و فى الحادى و العشرين من الشهر نفسه ادخلونا المحجر الصحى القديم ... وصلنا روما فى

۲۲ من شباط (۱۶۵۹) و هو اليوم ذاته الـذی ترکنا فيه المدينـة الخالدة قبل ثلاث سـنوات ... و قد زرت قداسة البابا ... و قدمت باسـم المطران اندراوس خضوعه للسدة الرسولية ... و قد وافق مجمع انتشار الايمان (بروبغندا) على رسامة المطران المذکور ..

و قرر ان يرسل له مساعدة سنوية.

اما القس الياس فکان من جملـة الفقراء على مائدة قداسة البابا يوم خميس الفصح ، و قد تأثر جدا من المثال الصالح الذی اظهره نائب المسـيح، و قال انه يريـد ان يـذيع هـذا الخبر فی وسط هراطقة بلاده جميعهم و ينقله الى البطريرک عمه، و قد نال لاخيه عبد المسـيح ارکزيا قونيه کنيسة بغداد، و حظی ايضا بمعونة نقدية معتبرة الى بيته من المجمع المقدس المذکور .

رحلة سبستيانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۸۱

البعثة الثانية الى الهند الشـرقية ملخص ما کتبه سـبستيانی عن العراق فی المجلد الثانی من رحلته الى الهند الشرقية الکتاب الاول (ملخص الفصول الاولی)

فی ۷ شباط ۱۶۶۰ و بعد ان ودعت جميع الاصدقاء فی روما، اخذت طريق نابولی، من اجل العودة الى الشـرق ثانية ... فی اواخر تموز رست فی ميناء هذه المدينة سـفينة فرنسـية اسـمها سان بيترو کانت وجهتها طرابلس فی لبنان ... فصـعدنا عليها. و فی الحادی عشـر من آب وصلنا طرابلس، فنزلنا الى البر فی اليوم التالی ...

سافرنا الى حلب ... و عندما وصلنا الى هذه المدينة استقبلنا القنصل بيکيت و الاباء الرهبان ...

رحلة سبستيانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۸۳

الفصل السابع و العشرون السفر الى ماردين ثم الموصل

و کـان المنـاخ لا يزال حارا، و لـذا کان من الضـروری السـفر ليلا و الاستراحـة نهارا فی ظل خيمـة اشتريتها فی حلب، و بعـد ان عبرنا الفرات انقسـمت قافلتنـا الى قسـمين، سـار القسم الاول فی طريق اورفا، بينما اتجه القسم الثانی، و هو اقل عـددا، فی طريق ديار بکر، و کنت انا بضمن القافلة الثانية، و قد دفعت الرسوم فی البيرة ...

مررنا فی تلک الليلة بالقرب من جبل قره داغ، و عند انبلاج الصـبح کنا قد انتهينا من القسم الجبلی العالی فاصبحنا فی سفحه الثانی، و اذا بمدينـة ديار بکر تظهر على امتـداد بصـرنا، ان لمدينـة ديار بکر اسـما ثانيا عند الاقدمين و هو آمدAmid Amit . و بعـد ان عثرنا على ينبوع ماء قراح بارد انزلنا الرحال و امضـينا النهار کله، و عنـد حلول الليل انقسـمت قافلتنا من جديـد قبل ان نـدخل المدينـة، فقد دخـل بعض افراد القافلـة الى ديار بکر، اما القسم الثانی فکان مؤلفا من عـدد صـغير من الخيول و البغال، فقـد اسـرع فی ترک اطراف المدينـة قبـل دفع الرسوم، و سـلکنا طريقـا بين الوهـاد و الحفر الى ان اتينـا الى تـل و من هناک ألقينا نظرة عابرة على المدينـة دون ان يلمحنا احد، و امضـينا ذاک النهار فی العراء اذ لم ننصب الخيام، لقد کان الجو حارا جدا، و عند المساء تابعنا سيرنا، و کان ظلام الليل حالکا لانعـدام ضوء القمر، فمررنا بأوديـة و عرة المسالک، و بعـد يومين او ثلاثة اقتربنا من ماردين و تقع هذه المدينة على جبل اشم، فأمضـينا فی جوار المدينة يومين او ثلاثة، لان مکاری القافلة کان ماردينيا. ثم ابدلنا خيولنا باخری، لکن الخيول الجديدة لم تکن بقوة الاولی، و بعد ان تزودنا بالامتعة اللازمة، هبطنا الى سهل قوجحصار، فسرنا فی طرق ملتوية وعرة

رحلة سبستيانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۸۴

و منحـدرة، و بنعمة من رب العالمين اننا لم نسـقط من عن خيولنا اثناء الانحدار، و لما بلغنا السـهل رأينا هناک قافلة و جهتها نصـيبين، فسرنا فی رکابها و وصلنا المدينة المذکورة بعد يومين ... و قد هطلت امطار غزيرة علينا فی سفرنا ... ثم عاودنا السير.

فی اليوم التالی من سـفرنا هذا، حدث ان غلاما مسيحيا يبلغ من العمر اثنی عشر عاما هرب من سيده و هو احد الانکشاريين، فاضطررنا

إلی التوقف، ریثما یفتش الرجل علی المملوک الهارب، و شارکه فی التفتیش بعض افراد القافلة، الی ان وجدوا الفتی مختبئا فی حفرة ملیئة بالماء الاسن، فجروه و اخذوه الی القافلة و کبلوه بالقیود، ثم انهار علیه صاحبه ضربا و رفسا، فتألمنا جدا لحاله، و لم یکن بوسعنا ان نفعل شیئا، و فی ذلک الیوم لم نتقدم فی سفرنا بسبب ذلک الحادث. اما فی اللیلة التالیة فاننا قطعنا مسافة حسنة، و قد اکتشفنا عن بعد وجود ستة عشر لصا ممتطین خیولهم، فوقع الخوف فی قلوب المسافرین بالرغم من ان عددهم کان اکبر من عدد اللصوص، و مع القافلة نحو خمسین انکشاریا ... و قد اقترب اللصوص منا کثیرا فی اللیلة التالیة و کادوا ان یهاجمونا، لکننا سبقناهم فی الهجوم و امطرناهم بوابل من الرصاص ... ففروا من امامنا.

کان معنا رجل موصلی اسمه نعمة اللّه، و کان یهتم بامورنا و یحافظ علی امتعتنا، و عندما نرکن الی النوم کان یضع الامتعة تحته خوفا علیها، لکنه ترکنا فی هذه البقعة و سار الی منطقة قریبة یسکنها الاکراد.

اخذنا بعد ذاک نسیر فی النهار خوفا من مباغتة اللصوص، و فی اللیل نزلنا فی سهل فسیح، لکننا وجدنا ان المیاه هناک لم تکن جیدة، علی کل حال فان الماء الذی اخذناه فی الیوم السابق لم یکن قد نفد بعد.

عندما ننام نضع اغراضنا فی الوسط بیننا و بین الخیول، فننام من جهة و تربط الخیل من الجهة الثانیة، و ذلک حفاظا علی الامتعة، و کنا نتناوب الحراسة، و بالرغم من کل ذلک فعندما نهضنا فی الصباح و قمنا لنحمل الخیل، لاحظنا ان بعض الاغراض مفقودة، فهلعت قلوبنا لا للاغراض نفسها ولکن

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۸۵

لان ما لنا من دراهم و رسائل رسمیة و براءات مهمة کانت موزعة بین الاغراض، فاخذنا نبحث عن الاغراض المسروقة، فلا بد ان نجدها عند احد افراد القافلة، لکن جهودنا ذهبت ادراج الریاح! فتابعنا مسیرتنا و الحزن یحز فی نفوسنا، ثم اخذت اتفحص الامتعة غرضا غرضا، فظهر لی ان المسروق لم یکن علی جانب من الاهمیة، بل هو خرج المأکولات ...

فی الیوم الثالث من تشرین الاول وصلنا الموصل، و کان التعب قد اخذ منا کل مأخذ، فقد ترکنا القافلة و قطعنا مسافة کبیرة بسرعة فائقة لاننا اردنا ان ندخل المدینة قبل حلول الظلام. اما الذین تأخروا مع القافلة فقد اضطروا إلی المبیت خارج السور، و قد هجم علیهم الاکراد فی تلک اللیلة و کبدوهم خسائر تقدر بخمسمائة قرش.

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۸۷

الفصل الثامن و العشرون مکوثنا فی الموصل و سفرنا الی بغداد

نزلنا فی احد خانات المدینة، و خلال المدة التی قضیناها فی ام الربیعین، زارنا اکثر من مرة سلیمان البنا فاکرم وفادتنا، اما سلیمان فهو ذاک الرجل الذی رافقنی من نابولی الی مسینة فی رحلتی الاولی، و قد دعانا احیانا لتناول الطعام علی مائدته. و قد طلبنا منه ان یستعلم عن الاکلاک النازلة الی بغداد فی نهر دجلة، لاننا اردنا السفر باسرع وقت ممکن الی البصرة قبل انحسار المیاه.

امضینا فی الموصل نحو عشرة ایام، زرنا خلالها کنائس النساطرة و الیعاقبة.

دعانا الاخ الاصغر للقس الیاس- الی داره- و قدم لنا بعض المبردات، و کان هذا القسیس قد رحل معی فی سفرتی السابقة من بغداد الی حلب، و قدمت له مساعدات جمة فی روما، و قد اراد شقیق القسیس ان یذهب بنا الی مکان قریب فی جبل الکرد یسمی القوش Alcus (وطن النبی ناحوم

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۸۸

المعروف بالالقوشی Elceseo بقصد زیارة البطریرک ابن عمه ، نظرا الی ان البطریرک السابق، و هو عمه، کان قد انتقل الی جوار ربه قبل مدة قصیرة ، بعد ان طعن فی السن، و مات و هو علی ضلاله، و ان کان القس الیاس بعد رجوعه من روما قد اقنعه بغلطه و

حرضه على الخضوع للحبر الاعظم، لكن تحريضه كان بلا جدوى، فقد كان البطريرك يخاف من ان يتهم بانه افرنجى.

و كان عمر البطريرك الجديد ، ابن اخى البطريرك المتوفى، اربعة عشر عاما، و قد رسم قبل سنة اسقفا، و فى السنة السابقة لهذه كان قد سيم قسيسا، بعد ان امضى سنتين كراهب من اتباع القديس باسيلوس . فهكذا يكون مجرى الامور، حيثما تقلد المراتب الكنسية بالوراثة فى اسرة واحدة ، او حيث تشوب الايمان القويم شوائب فتعكر صفاءه.

و كان اخو القس الياس، و اسمه عبد اللّه، يامل بان زيارتى للبطريرك ابن عمه، قد تحركه على تقديم الطاعة للجد الاعظم لكن وقتى كان محدودا

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۸۹

و كنت اترقب السفر فى كل لحظة، لذلك رفضت السفر الى القوش، و فضلا عن ذلك فان الاب جيوفانى تاديو Ctio Taddeo كان طريح الفراش فلم يسعنى ان اتركه.

احتفلت الموصل فى تلك الفترة باعياد يطلقون عليها اسم «الزينة» و بالتركية «دولمنا» و ذلك بايقاد المشاعل خلال ليال متتالية، و بتحميل الطرقات خاصة فى الاسواق «البزار» و قد امر الوالى باقامة الزينات بمناسبة استيلاء الاتراك على حصن مكين كان فى يد النصارى، و لا اعلم موقع ذاك الحصن ، لكن احد الجنود قال لى بان غاية الاحتفال كان للدعاية و لخداع الشاه الايرانى بانتصارات خيالية، كى لا يهاجم المملكة من جهة ايران: لانه، اعنى الحادث يفهمنا ان الدولة العثمانية تخيف فى ظواهرها لا فى حقيقتها، و يعرف الاتراك كيف يظهرون انفسهم اكثر مما هم فى الواقع. رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد ؛ ص۸۹

كلك هو عبارة عن مجموعة من العبيدات اليابسة المعوجة، تربط حزما حزما فوق قرب منفوخة بالهواء فتسند حزم الاعواد كى لا تغطس من ثقل البضائع. و الكلك مربع الشكل، لا دفة له و لا جؤجو (مقدمة) بل يستعملون مجذافين هما بالاحرى قطعتان معوجتان من الخشب تنتهيان بلوح مسطح من الخشب ايضا، و نظرا لبساطة تكوينه، لذلك فمن ابسط الامور اعداد ثلاثة اكلاك او اربعة فى مدة قصيرة من الزمن، فلكى نحث على الاسراع فى تحضير الاكلاك، خرجنا من المدينة و نزلنا الى شاطىء النهر يومين او ثلاثة،

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۹۰

و فى هذه الاثناء تدهورت حالة الاب جيوفانى تاديبو الصحية، و رأيته عاجزا عن السفر، فنصحته بالبقاء مع احد رفاق السفر فى بيت سليمان للمعالجة، و اعطيته كمية كافية من المال، على امل تحسن حالته، فيتبعنى من ثم الى الهند لكنه الح على السفر معنا.

فى العاشر من تشرين الاول (۱۶۶۰) ركبنا الرمث، و كان محملا بالكبريت و مكتظا بالمسافرين.

فلم يكن بالامكان ان نجد مكانا للاستلقاء عليه او البسط الفراش فوقه، قبل سفرنا قدم الشاهبندر و هو موظف الكمرك، الى الموضع الذى كان فيه الكلك، فاوقفنا ليفتش الامتعة، و كان يود الرجل ان ياخذ اكبر كمية من المال فوضع مختلف العراقيل، و فى الاخير ارتضى بالقليل و تركنا لشأننا.

تحرك الرمث، و بعث ثلاث ساعات من السير مع تيار النهر، مر الكلك بمنطقة حجرية فكاد ان يغرق، فاضطررنا جميعنا إلى النزول الى الماء لنخلص، و بعد محاولات شتى و مشاق كبيرة عاد الكلك الى فوق الماء، و اخذ يجرى بسرعة جنونية مع التيار، و بالكاد استطعنا اللحاق به و الصعود عليه.

و كانت بعض الزقاق قد تمزقت نتيجة لذلك الارتطام فاخذ الكلك يغطس ثانية خاصة حيث كان الماء عميقا، و بدأ الماء يتسرب الى الاغراض حتى وصل الى وسط اجسامنا، فملأ الخوف قلوبنا، و بدأنا نصرخ يا يسوع و يا مريم، و كان الاخرون يصرخون يا اللّه و يا محمد، و فى هذه الاثناء دفعنا التيار قريبا من حافة النهر، و بالرغم من كوننا لا نزال فى وسط الماء، فقد قفزنا للحال الى اليابسة، و نشرنا ألبستنا تحت الشمس و عرضنا امتعتنا للهواء لتنشف، اما الزاد فقد تلف. و كان لنا شىء من الخمر فى قنينة، نظرا الى ان الخمر تفيد للتطبيب لا للسكر، فعثر احدهم على القنينة، فاخذها للحال و عرضها على الجميع قائلا: انظروا هوذا سبب هلاكنا، انه ذنب

الافرنج، ورمى القنينة على صخرة فحطمها.

ارسل الكلاك فى طلب قرب جديدة من الموصل، فاصلح من شأن الرمث، و هكذا اكملنا سفرنا.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۹۱

و كان التيار يسيرنا فلم يستعمل اكلاك المجاذيف، و كنا نرتطم احيانا بضفاف النهر ... ثم وصلنا الى شلال صغير و فى ذلك خطر السقوط و انقلاب الكلك. فتوقفنا هناك ثم حلوا الاكلاك، و لم يبق الا كلكنا كاملا، فقام بحله ذاك الكلاك الذى كان قد حطم قنينة الخمر، و كان لا بد من الانتظار ساعات طويلة ريثما تتم عملية شد الاكلاك من جديد. اما صحة الاب تاديو فقد كانت فى تدهور مستمر ... ثم تعافى و لله الحمد ...

ان الترجمان الذى اصطحبناه من حلب، تركنا فى الموصل لانه رفض بيع حصانه، فعاد الى وطنه و لم نجد لنا بديلا عنه، لذا كنا نجد انفسنا فى صعوبات و انعزال لاننا لا نفهم لغات تلك البلاد.

اكملنا سفرنا الى تكريت، و كان السفر صعبا و شاقا، و المناخ حار و الشمس حارقة، و لم نستطع شراء شىء فى تكريت الا بيضات ثلاثا و ديكا ..

و بعد ستة ايام اخرى و لربما سبعة وصلنا الى بغداد، فذهبنا الى الاباء الكبوشيين بعد ان تركنا امتعتنا فى الفندق Alfandica اى فى الكمرك، حيث استلمناها فيما بعد، بعد جدال و نقاش طويلين، و بعد ان فقدنا بعضها.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۹۳

الفصل التاسع و العشرون سفرنا الى البصرة بواسطة دجلة

اشارة

عند وصولى الى بغداد، رأيت على شاطىء النهر القس الياس، و كان يأتى كل يوم الى هناك منتظرا قدومى، فقد بلغه خبر سفرى الى هذه الجهة، لقد ساعدنى هو و الاباء لاحصل على دانك يتوجه الى البصرة، و قد طلبنا جواز مرور من الوالى، ولكننا لم نأخذه، لان ربان الدانك قال ان لا ضرورة له، و انه مرخص لحمل الافرنج على قاربه الى اية جهة يسافرون. و لم نتمكن من الحصول على مترجم فى بغداد ليسافر معنا.

و بعد ان تزودنا بالطعام الضرورى، تركنا الزوراء فى ۲۵ تشرين الاول، دون مترجم و نحن لا نعرف اللغة. فرأينا الدانك محملا بالبضائع المختلفة، مكتظا بالمسافرين حتى اننا لم نجد موضعا نجلس فيه، و بالكاد تمكنا من الجلوس بالقرب من السارية و قد توقعت المصائب فى هذا الدانك، لان الاحمال كانت كثيرة، و لم تفد احتجاجات المسافرين و صراخاتهم، فقد كانوا يكدسون البضائع، و ذلك لان القبطان كان جشعا للغاية.

من الصعوبة بمكان ان اعبر عن المشقات التى لاقيتها فى هذا السفر، فمن وقت الى اخر كان الدانك يجنح الى هذه الجهة او تلك او يرتطم بضفاف النهر، و فى كل يوم كانت صراخات المسافرين تتعالى فتصم الاذان، و كم من مرة توقفنا لننزل البضاعة او لنحمل غيرها، او نضطر للنزول الى الماء لدفع الدانك، و الويل ثم الويل لمن يتأخر عن النزول، فان ضربات العصى تنهال على راسه، ولكن لا بد من الاعتراف بانهم كانوا يلزمون جانب الاحترام بالنسبة الينا.

اردنا التخلص من هذا الدانك، فحاولنا اول مرة عندما وصلنا الى بلدة

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۹۴

الحى، فلم نفلح، و هكذا فى اماكن اخرى، و كانت نيتنا ان نستأجر دانكا صغيرا كافيا لنا، و لشخص ارمنى اسمه السكندر رافقنا من

بغداد، و اصله من دیاربکر، لکننا لم نجد ضالتنا. ان جهلنا اللغة الحق بنا اضرارا کثیرة، و بالرغم من کل ذلک، فان الارمنی و الجندی الانکشاری و رجلا مسلما تظهر علی محیاه سمات النبل و الوقار، قدموا لنا مساعدات جمة اکثر من مرة، و کان الرجل المسلم یحاول ان یدخل الفرح الی نفوسنا، و کان الرجل هرما و سمینا جدا، لکنه مع ذلک خفیف الظل سریع النکتة، فکنا نتفاهم بالحرکات و بالایماءات و بکلمات معدودات هی خلیط من الترکیة و الفارسیة و العربیة.

فی الثالث عشر من تشرین الثانی وصلنا الی المجر Magger و تعتبر هذه المنطقة نهایة حدود ولایة بغداد، فکان من واجب القبطان ان یدفع رسوما عن الحمولة، و قد طلب الشاهبندر ضریبة اکثر مما یستحق، فلم یتفقا علی مقدار الضریبة، و هنا تدخل احد البحارین، الذی کثیرا ما انعمنا علیه بالمساعدة، فاراد ان یظهر براعته للقبطان فاقترح علیه ان یصرح بان الحمولة طبیعیة، و ان کان هنا کمیة اکثر من الحمولة العادیة فلیتقاضی اجرها من المسافرین الافرنج، فطاب الاقتراح للربان و اخذ بالعمل بحسب هذه المشورة، فاستدعانا الشاهبندر و طلب منا جوازات السفر (عدم تعرض) و اذ لم یکن معنا، اعتمادا علی وعد الربان نفسه، للشاهبندر بواسطة الحرکات ان الربان نفسه لم یهتم للجوازات، فانکر الربان بکل وقاحة ما قاله فی بغداد، عندئذ امر الشاهبندر بالقاء القبض علینا.

لیس بامکانی ان اشرح او ان اعبر عن شعوری فی تلک اللحظة، لقد اخذت اتصور نفسی و رفاقی سجناء فی ذلک الموضع البعید، بین اعراب لا استطیع التحدث الیهم لجهلی لغتهم، فانقبض قلبی، و رأیت ابواب الخلاص مسدودة فی وجهی. و اذ بواحد منهم یقترح علینا حلا للمشکلة بان ادفع عشرین قرشا، ففرحت بهذا الحل، لکن قلة ذات الید جعلتنی احتج بان الضریبة عالیة، فتدخل الجنود الانکشاریون و الملا و اسکندر الارمنی، و هکذا هبطت الی خمسة قروش نتیجة وساطتهم، و تظاهر اسکندر و هو یخفی ابتسامة

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۹۵

خبیثة بانه یدفع الضریبة عنا، و اخذ یقرعنا بکلمات صارمة!.

اکملنا السفر، و بعد فترة دخلنا فی منطقة ولایة البصرة الجمیلة فرأینا صباح احد الایام عددا کبیرا من البجع یحلق فوق رؤوسنا، فقام البعض و صوبوا النار علیه، فمنعهم بعض المسافرین المسلمین قائلین ان صید البجع اثناء طیرانه حرام ...

ثم وصلنا الی منطقة بدأنا نشعر فیها بالمد و الجزر ... و فی منتصف لیلة الحادی و العشرین من تشرین الثانی، اذ کنا نیاما، تعالت صراخات النساء تشق عنان السماء، فقد کان تیار النهر جارفا، فاخذ یهز الدانک هزا قویا، فارتطم الدانک بصخور الساحل، و تحطمت من جراء الارتطام بعض قطعه، فتسربت المیاه الی داخله و کادت تغرقه. فحل الخوف فی نفوس الراکبین، و اخذ الربان یصرخ، و البعض یبکی و یولول بینما کان اخرون یلطمون وجوههم، و سارع اخرون إلی تخلیص الامتعة، و الحق یقال ان الواحد کان یساعد الاخر من اجل النجاة، فأشعلت مصباحا کان معی و سألت الاب کوتیفریدو انکان بامکاننا انقاذ الامتعة فأومأ بالایجاب، و للحال ربطنا الامتعة بسرعة، و اذ لم اکن خبیرا بالسباحة فقد حاولت الاقتراب من الشاطیء بواسطة لوح من الخشب و اخیرا رمیت نفسی فسقطت علی منطقة طینیة فانطمرت فیها بینما غمرتنی الاوحال، فحاولت التخلص بکل قوای، و بعد جهود شاقة استطعت ان اسحب نفسی فارتمیت علی الیابسة، و هناک وجدت شابا مسلما، اومأت الیه ان یذهب لمساعدة الاباء الاخرین، فاسرع ذاک الشاب الطیب و نزع ثیابه کلها تارکا ایاها عندی، و رمی بنفسه فی الماء، ثم عاد سابحا و معه الاب کوتیفریدو و هما یتعاونان فی حمل الاغراض ...

صباح الیوم التالی وجدنا دانکا ... فرکبنا مع اسکندر الارمنی و الملا و الشاب المذکور واحد الجنود و کان اسمه قادر باشا، فأکملنا سفرنا دون خوف من الاعراب او ای شخص آخر، ثم ابدلنا الدانک فی Amma ، و فی القرنة و قد اوقفنا الشاهبندر فی القرنة مدة خمس و عشرین ساعة، و اخیرا وصلنا الی البصرة بعد ایام اربعة، و کان ذلک الیوم عید القدیسة کاثرینة (ای

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۹۶

۲۵ تشرین الثانی)، بعد سفر خطر جدا قاسینا منه الامرین و استغرق شهرا کاملا، و قد استقبلنا الآباء الکرملیون علی الرحب و السعة و اظهروا نحونا محبة کبیرة.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۹۷

الكتاب الثالث من المجلد الثانى الفصل السابع عشر ... الى البصرة

... اخيرا وصلت السفينة «المسماة» كاباريس Cabares نحو مطلع شهر حزيران سنة ۱۶۶۴ فصعدنا عليها لنعود الى البصرة ... و فى المساء هبت ريح الشمال فحدثت زوبعة بحرية هائلة، فانزلت المرساة. و قد لاحظنا عند سير السفينة، ان سارية المقدمة قد انكسرت و تكاد ان تتحطم، و فى هذه الحال ستجر بقية السوارى، فتحدث الطامة الكبرى، لذا رأينا من الضرورى ان نكمل الابحار بانتباه و حذر كبيرين، لان الرياح كانت بعكس اتجاهنا، اخيرا وصلنا الى نهر البصرة فى الرابع عشر من تموز «۱۶۶۴» بعد اربعين يوما من سفر مضنك للغاية.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۹۹

الفصل الثلاثون فى البصرة

كان الحر شديدا للغاية ... لقد جعلنى السفر فى هذا الموسم افكر بجهنم النار ... و لم استطع الرقاد او الاخلاد الى الراحة، كما لم تفدنى مختلف الوسائط التى اتخذتها من اجل التخفيف من شدة القيظ. و لما كان الاب كوتيفريدو مريضا فقد تركنى و سافر، كما ان الاب جيوفانى تاديبو كان متوعك المزاج على اثر سفره فى البحر، لذا كنا بامس الحاجة الى الراحة، و لهذا السبب قررت البقاء فى هذه المدينة الى نهاية ايلول.

تمر فى البصرة سفن كثيرة، لذا فان البحارة من مختلف المذاهب المسيحية كانوا يأتون الى كنيستنا لحضور المراسم الدينية، فكنا نقيم القداس الكبير مصحوبا بالموسيقى، و قد منحت سر التثبيت الى كثيرين خلال وجودى فى هذه المدينة ...

اجتمع فى ديرنا جمع كبير من اتباع القديس يوحنا، و يطلق عليهم اسم الصابئة المندائيين، و قد نقلوا الىّ تذمرهم من الاب رئيس الدير، لانه لا يسمح لهم بالدخول الى الكنيسة كما انه لا يمنح العماد لاولادهم، و كانوا يؤكدون لى بانهم نصارى.

فاجبتهم، حسنا يفعل الاب المذكور لانكم لستم نصارى ... و لذا لا يحل تعميد اطفالكم ... و لقد وجدنا بعضا منهم قد تنصروا، و كان واحد منهم اسمه ايزيدورو بانفيليو كان قد نال العماد فى روما على عهد البابا انوشنسيوس العاشر ... و عاد الى وطنه (فاصبحت حياته فى هذا المحيط صعبة تكتنفها الاخطار) ... لقد التقيت به اكثر من مرة فشجعته على الثبات فى معتقده،

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۰۰

فوجدت ان معنوياته كانت عالية .

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۰۱

الفصل الواحد و الثلاثون السفر الى بغداد- اعتقالى فى العمارة

بعد ان ذهب الصيف و ولى و تخلصنا من حره اللاهب، الذى لم يعطنا مجالا للاستراحة و لاسترجاع قوانا، قررنا السفر، فركبنا فى العاشر من ايلول دانكا يدفع باربعة مجاذيف، و كان السفر متعبا للجسم و النفس، فقد كان رقادنا قليلا، اذ نضطر إلى التناوب فى الحراسة خوفا من هجوم الاعراب او الاسود، فقد سمعنا زئيرها فى احد الايام قريبا جدا منا.

فى التاسع عشر من ذلك الشهر وصلنا الى الحى، فمكثنا فيها يومين، امضيناهما فى غرف احد المساجد، لكننا لم نذق طعم الراحة لكثرة الذباب ...

كان من المنتظر ان يرسل قادر باشا احد خدامه الى هذه البلدة يرافقنا الى بغداد، فيعد الخيول و يصرف علينا كل الضروريات، و

بالرغم من أن هـذا الرجل كان مرموقا و شـهما، فقـد نال الطمع من قلبه، فعوضا عن الخادم المنتظر، عهـد بنا الى جندى انكشارى كان مسافرا الى بغـداد، فصـعد معنا على القارب دون اى يدفع لنا فلسا واحدا، كما ان الجندى قدم لنا خيلا من جنس ردىء، كان يسوسـها مكارى صـغير السن قليل الخبرة لكنه سليط اللسان، و قد طلب منى، دون مقدمات، ان ادفع ثمن الحصان للحال، مدعيا ان الاتفاق «مع قادر باشا» لم ينص على هذا العدد من الخيول ... فسرنا فى طريق

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۰۲

بغـداد ... اخيرا اخـذنا قاربا و عبرنا فرعا من فروع دجلـة، و بعـد ان دفعنا اجرة العبور، دخلنا الى قريـة صـغيرة اسـمها العمارة، فنزلنا فى اسـطبل، و هنـاك قـدم رجـال الكمرك ففحصوا امتعتنـا بتـدقيق كبير، فلم يجـدوا شـيئا يجلب الانتبـاه، ثم باشـروا بتفتيش المسـافرين الاخرين، فوجدوا عند احد الخدام تمثالا صغيرا من العاج، و لم اكن اعلم عنه شيئا، لانى كنت قد منعت الخدم منعا باتا من حمل اشياء تثير الشـكوك و تجـذب الانظار فما ان وجـدوا التمثال حتى بانت على وجوههم امارات الاسـتبشار و الانتصار ... فاخـذوا يهـددون ... املين ان نـدفع لهم فدية عالية من اجل استرجاع التمثال ... فذكرنا لهم باننا نسافر الى بغداد بحماية قادر باشا الذى يعرفونه حق المعرفة و يهابون جانبه و يخشون بطشه، و قلنا لهم اذا ما تجاسـرتم و اخـذتم رسوما منا، فانه سيعوضـنا الواحد باثنين، لكن احتجاجاتنا كلها لم تفد شـيئا و لم تزعزعهم عن عنادهم ... لقد اصـروا على انتزاع شـىء من المال، و كان الجندى الانكشارى المرافق لنا مستعدا للكلام و تهدئة النقاش، اما لدفع المال فهو غير مستعد البتة. فاضـطررت اخيرا إلى ان ادفع قطعتى عباسـى ثم ثلاثا لرجال الكمرك الذين يطلق عليهـم اسم (؟)Sassi ففرحوا للوهلـة الاولى، ثم عـادوا يلحون طـالبين المزيـد اى عشـرين قرشـا، و لم يكتفوا بهـذا المبلغ بل راحوا يطلبون مئـة قرش! بالحقيقة لم يكن معى الا ۲۵ قرشا (فقد وضـعت الباقى جانبا لتكملة سـفرى الى بغداد) فقدمت ما عندى و حاولت التملص من الورطـة بمختلف الاعذار، لكنهم لم يقبلوا، و هكذا مضـى الليل دون ان نرقد، لقد ملأت الكآبة نفسـى بسـبب هذه الجزية الظالمة، و كان الذباب يحوم حولى مثل ما حدث لنا فى الحى، كما ان الخيل بحركاتها وصهيلها الدائم لم تدعنى اغمض عينى.

و عنـد الصـباح دعوت مرافقنا الانكشارى و اسـمه محمـد باشا، و طلبت منه ان يحل المشـكلة فيـدفع اقل مبلغ ممكن، و سأؤدى المبلغ الـذى يتفقون عليه من عندى. فأجابنى انهم لن يرضوا باقل من مئة قرش، و اعلن انه لن يدفع فلسا واحدا من عنده، و بعد هذه المداولة قرر السفر حالا الى بغداد، بينما نمكث نحن فى البلدة، و سيحاول ان يجد فى بغداد، حلا لمشكلتنا و يرسل

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۰۳

امرا عاجلا من هناك، و طلب منى تحرير رسائل الى الاباء الكبوشيين فى بغداد ليساعدوه على حل المعضلة.

تبعـد بغـداد عن تلك البليـدة نحو ثلاثـة ايام، و لا بـد من يوم اخر من اجل المراجعات الرسـمية، اضافـة الى ثلاثة ايام اخرى من اجل ارسـال الامر الينا، و هـذا يعنى ان نمكث هنا اسبوعا، فبقينا مع الترجمان، و هو رجل مسيحى مسكين، كان صابئيا فتنصر، كما بقيت الخيول و الاحمـال معنـا و نحن فى اسـطبل قـذر، تحت رحمـة انـاس كانوا ينظرون الينا نظرة شـذراء، و يـداهمنا من جهـة اخرى خطر الهجوم علينا، لان اعراب البادية يمرون بتلك القرية بصورة دائمية.

اردت ابقاء العسـكرى معى، و دفع ما تبقى عندى من دراهم، فرفضوا، ثم طلبت السـفر بنفسى الى بغداد لاسرع فى التوسط و الحصول على الحل الضـرورى لمشـكلتنا، لكن الرجال حجزونى مع الاباء الاخرين و وضـعوا اليـد على الاغراض، لـذلك كتبت رقعة الى الاباء الكبوشـيين و سلمتها الى العسكرى، فامتطى حصانه و سار برفقة رجال مسلحين، اما نحن فبقينا فى ألم لا ضفاف له، اذ نرى الحاضرين يضحكون علينا و يستهزئون بنا، و زاد من حزننا أننا لم نحصل على طعام.

كـان من جملـة المسـافرين على ظهر السـفينة، رجـل يهودى من حلب، كان قادما من الهنـد الى البصـرة، و كان الرجل عاقلا و مهـذبا للغايـة، و يظهر انه من رجال حلب المرموقين، و كنت قد سـمعت ان الافرنج يلاقون صـعوبات من قبل اليهود عند مرورهم بحلب، لذا حاولت كسب عطفه و التودد اليه لعله يفيدنى فى سـفرى. و على اثر هذا التقارب اخذ يكلمنى عن اعماله، فاخبرنى ان له اعمالا واسعة

فى البصرة و لذلك فانه سيمكث فيها فترة من الزمن، و طلب منى ان احمل الى بعض ذوى قرابته رزمة فيها الماس ثمين، و زودنى برسائل الى جماعته فى حلب فيها توصيات بحقى، لقد كان حمل تلك الرزمة خطرا كبيرا، فامتنعت من استلامها، لكن الح على، خاصة بعد ان سبقنى بالفضل و كتب رسائل التوصية، ثم قيل لى انه لا خطر على طالما اسافر فى حماية قادر

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۰۴

باشا، و هكذا قبلت باستلام الرزمة و وضعتها مع بقية الاغراض. و فى اليوم السابق لوصولنا الى العمارة، ضممت الصرة فى مكان اخر! لو عثر رجال الكمرك عليها لوضعوا اليد عليها من كل بد ... ان وجود هذه الرزمة معى كان يقلقنى، فلو عادوا الى التفتيش فقد يعثرون عليها. و هكذا اخذت افكر بالخطر المحدق بنا، و بحالتنا التعيسة فى ذلك الوسط الغريب، ثم وجدت حلا قد يخلصنى من ورطتى و ذلك بتقديم خمس قطع من فئة العباسى الى رئيس البلدة «على سبيل الرشوة طبعا!» فامر رجال الكمرك بتخفيض الرسوم و الاكتفاء بثلاثين قطعة عباسية (الى جانب ما دفعناه سابقا!) فقبلوا بالاقتراح فدفعت المبلغ اليهم للحال. ثم طلبوا سبع قطع عباسية اخرى للكاتب، و قطعتين للمرافق، فظهر لى ان طلباتهم لن تنتهى، و فى هذه الاثناء امتطيت حصانى و ركب رفاقى ايضا، فاسرعنا فى السير. و عند وصولنا الى النهر دفعنا من جديد ضريبة اخرى سبع قطع عباسية ... ثم رأينا شابا من رجال الكمرك يركض فى اثرنا، لقد كان يطلب بوقاحة ظاهرة شيئا من المال، فتابعنا السير دون ان نعبأ به، اما هو فحاول قطع الطريق علينا، فاسرعنا فى السير و بعد ان ابتعدنا قليلا ـ التفتنا الى الوراء فرأيناه يلحق بنا، ففتحنا النار و اطلقنا بعض العيارات فى الهواء، فرجع على عقبيه، و اطلق ساقيه للريح، و عندما رأينا انفسنا بامان نزلنا عن خيولنا لنستريح، لاننا لم نذق طعم النوم منذ اربع ليال او خمس، و تناوبنا فترات الحراسة اثناء النوم خوفا من الاعراب ...

وصلنا الى بقعة رملية بيضاء، تحدها من جهة غابة صغيرة و من الجهة الاخرى اعنى وراءنا النهر، فذهب المكاريون الى شاطىء النهر ليستريحوا، اما نحن فقد انزلنا الاحمال عن الخيل، و كان ظلام الليل دامسا و لا اثر لضوء القمر، و بالرغم من ذلك فقد اكتشفنا وجود رجال يقدر عددهم بخمسة و عشرين شخصا، مسلحين بالحراب و السيوف و يحمل بعضهم الدروع و المقاصل «الطبر؟». فاخذنا نصرخ دون انقطاع «رح، رح» معتقدين ان صراخنا يؤثر فيهم او يخيفهم، ثم فكرنا بان نطلق بعض العيارات النارية، و كانوا هم ايضا يصرخون، لكننا لم نفهم معنى صراخاتهم. ثم اخذ المكاريون الذين معنا

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۰۵

يصحيون «فرنجى، فرنجى، كبير دوسيت» (اعنى هنا افرنج، و لهم مسدسات عديدة).

و بالحقيقة فقد عمت البلبلة صفنا، و ملأ الخوف انفسنا. و اخذ اولئك الرجال يتقدمون نحونا، فاصبحت المسافة بيننا كافية لتصويب الرماح، فامتطينا الخيول بسرعة، و صحت باحد رفاقى ان يطلق النار عليهم حتى يخافوا فيهربوا، او على الاقل يبتعدوا عنا قليلا، لكنه لم يفعل، فاعدت الصراخ ثانية و ثالثة، و تناولات المسدس لاطلق النار بنفسى، رباه! ما اتعس تلك اللحظات، انى كلما تذكرت تلك الحالة المريرة التى كنت فيها يعود الهلع فيغمر نفسى! اى منظر رهيب: اعراب و اتراك كثيرون، و الوقت منتصف الليل و فى منطقة مقفرة فى بلاد بعيدة، لا امل هناك و لا معين ...

كنت على وشك الضغط على الزناد، و فى الوقت نفسه اتوقع ضربة رمح من الطرف المقابل، و اذا بى اسمع صوتا يقول: بادرى ، محمود جلبى! فى تلك اللحظة انفتحت على ابواب السماء و بعثت حيا، فألقيت السلاح جانبا، و اسرعت الى مصدر الصوت فلحقنى رفاقى، و اذ تعرف على محمود جلبى، صرخ من فرحه و نزل عن حصانه فتعانقنا طويلا ...

اما محمود جلبى هذا، فهو انكشارى، تعرفت عليه فى البصرة، حالته المالية جيدة، و له مكانة اجتماعية مرموقة، و هو مهذب للغاية. و كنت قد اودعت عنده سلة كبيرة وضعت فيها اثمن ما عندى من اغراض ليحملها الى بغداد. و كان هناك رجل انكشارى آخر، اصله من كانيا التقيت به فى البصرة و ربطتنى و اياه اواصر الصداقة و هو من ديار بكر، و كان قد اتى الى البصرة لبيع بعض الشباب

المملوكين الغريغوريين «الارمن». و كان من بين اولئك الشباب

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۰۶

واحد ماهر على آلة تشبه البيانو القديم، و عوضا عن الاصابع الخشبية الطارقة، لها اوتار تنقر باظافر من الفضة، و فى نهاية الاصابع حلقات لشد الاوتار و سمعت الشاب ينشد ابياتا من الشعر التركى و هو يضرب على الالة، فكان الصوت و النغم خير تعبير عن طبيعة ذلك الشعب و غطرسته ...

كان محمود جلبى قد ترك البصرة منذ شهر فسافر فى الدانك الى بغداد، و فى تلك الليلة بالذات كان قد مل من السفر بالدانك فنزل الى اليابسة مع بعض التجار، و تبعه اعراب كثيرون، فساروا فى طريق بغداد، نظرا الى ان الدانك يتأخر نحو ستة ايام ليصل الى بغداد و من ثم لتعرجات دجلة الكثيرة .. هكذا سرنا برفقة محمود جلبى الى بغداد، لانه الح علينا ان نكون معه لنتخلص من الاخطار ... عندما اقتربنا من بغداد، لمحنا رجلا راكبا حصانه ينهب الارض نهبا متجها نحونا، فعرفنا انه القبوجى Capigi اعنى مساعد رئيس الانكشاريين، و يحكم البلد فى غياب الوالى الذى توفى منذ مدة قريبة، و اذ تعرف علينا باننا افرنجة، اقترب منى و سلمنى رسالة من الاباء الكبوشيين القاطنين فى بغداد، فعرفت منها، ان القبوجى يتوجه الى العمارة حاملا امرا الى رجال الكمارك ليتركونا و شأننا، و علينا ان ندفع للقبوجى عشرة قروش، فطلبت منه ان يعود الى المدينة و يخبر الاباء المذكورين بقربنا من بغداد، كما طلبت منه ان يترك باب المدينة مفتوحا حتى وصولنا، لان الساعة متأخرة فاستدار الرجل و عاد ادراجه يسابق الريح ... و قد ساعدنا محمود جلبى عند باب المدينة و فى الكمرك، و هكذا دخلنا المدينة و وصلنا الى دير الكبوشيين دون ان تصيبنا اذية ما.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۰۷

الفصل الثانى و الثلاثون السفر الى الموصل

عندما بلغ خبر دفعنا الرسوم [فى العمارة] الى آغا الانكشاريين، فانه امر الصوباشى بان يتحقق فى القضية و يتخذ حالا الاجراءات اللازمة لاظهار الحق، ففتش فى قائمة السيكورتا، و هى قائمة باسماء الموظفين و مراتبهم، و محل عملهم (و الاحتفاظ بنسخة من هذه القائمة فى الديوان، عادة جيدة عند العثمانيين لانها جزيلة الفائدة فى حالات كهذه). و امر الاغا ان تعاد الينا المبالغ التى ابتزت منا فى العمارة، و ان يلقى القبض على اولئك الموظفين و يقادوا الى بغداد ليتلقوا العقاب و هو عادة ضربات العصى. لكننا فكرنا مليا بالامر، و اردنا ان نكون ارحب صدرا و اكثر عفوا لان المسامح كريم، فقبلنا استرجاع المبالغ و رفضنا انزال العقاب بالموظفين، و كانت المبالغ قد وصلت الى يد الصوباشى فنزل صاحبنا عند طلبنا، و اراد ان يظهر سخاءه الواسع و كرمه الحاتمى و ذلك بتوزيع المبالغ المذكورة توزيعا عادلا كما ادعى، على القبوجى و الكاتب و بقية الموظفين الذين اهتموا بقضيتنا.

سمعت عند وصولى الى بغداد، بان قافلة كبيرة تستعد للسفر الى حلب، و كان من جملة المسافرين فيها اخوان اثنان للقس الياس، الذى سبق ان ذكرته اكثر من مرة، فرأيت الفرصة سانحة، نظرا لوجود من يرافقنى، و لا سيما السرعة فى السفر، لانى كنت اخاف من حلول موسم البرد و الامطار، فقررت

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۰۸

ان ارحل حالا، فاعدت الترجمان، و اسمه يوسف، الى البصرة، و قد فرح بما اعطيته مجازاة له على مرافقتنا، و سلمت صرة الالماس العائدة الى اليهودى الحلبى الى وكيله، فشكرنى و اثنى على، و اخذت رسائل عديدة الى حلب فيها توصيات بحقى، ثم اكتريت اربعة خيول، و اتفقت مع جندى انكشارى يرافقنى فى سفرى لقاء اجر قدره ۹۰ قرشا، و تعهد الرجل بانه سيخلصنى من دفع الضرائب.

اما الاب كوتبغريدو فقد استولى عليه الضعف فتدهورت حالته الصحية، و لم يكن بمقدوره متابعة السفر، لذلك تركته فى بغداد برعاية الاباء المذكورين كى يتعالج، حتى اذا ما تحسنت صحته يلحقنى الى حلب ...

بعد ثلاثة ايام من وصولنا الى بغداد، تركتها مع رفاقى الاخرين، و لم ندفع رسوما عند باب المدينة، و ذلك بفضل الصوباشى، لانه كان سخيا جدا فى ما لا يخصه شخصيا، و قد غضب حراس الباب من جراء ذلك.

توقفنا خلال الليل على بعد ثلاثة اميال من المدينة. و كنا نعتقد ان عبد اللّه احد اخوة القس الياس يعرف الايطاليا، كما قيل لنا، فخاب ظننا لانه عند الاختبار ظهر لى ان ما يحسنه منها لا يزيد عن كلمتين، فحزنت فى اول الامر، لكننا اكملنا سيرنا، و كان يتعلم بعض الكلمات بحيث اخذ يساعدنا عند الحاجة ...

التقينا فى الطريق بعدد كبير من الجنود الانكشاريين و هم فى طريقهم الى اسطنبول ليلتحقوا بالجيش الذى كان يحارب هنغاريا (المجر) ...

فى اليوم الثالث عشر نصبنا الخيام قرب سور الموصل. و كنا قد مررنا فى طريقنا بتكريت و التقينا هناك باحد اقرباء سليمان البنا- الذى مر ذكره- فاكرم الرجل و فادتنا ... و من تكريت اكملنا سيرنا الى هذه المدينة مع اميرها (اعنى شيخ او امير تكريت) الذى كان فى طريقه لاستقبال و إلى بغداد الجديد .

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۰۹

ذهبت انا و الاب جيوفانى تاديبو الى دير الاباء الكبوشيين الذين قدموا الى هذه المدينة منذ فترة وجيزة، فمكثنا عندهم اربعة ايام، و قد احسن السيد سليمان ضيافتنا خلال هذه الفترة ..

وجدت الموصل فى هذه الزيارة مقفرة من السكان بنوع ملحوظ اكثر من الزيارة السابقة، فقد رأيت طرقا عديدة من دون سكان، و ابواب الحوانيت مغلقة. و علمت ان التجار و اهل الصنائع تركوا اعمالهم و هربوا الى كردستان تخلصا من دفع الضرائب الباهظة.

و فى فترة وجودى فى ام الربيعين، حضرت الاحتفال الذى اقيم بمناسبة وصول والى بغداد الجديد الى الموصل قادما من اسطنبول، فقد خرج والى الموصل ، لاستقباله على بعد ميل خارج المدينة و كان الاحتفال عظيما، و الجدير بالذكر ان مراسم الدخول الى المدينة هى اعظم مما يصنع لملوكنا فى اوروبا .

كان موكب الاستقبال مؤلفا، فى الواقع، من عدد كبير من الجنود و الموظفين الرسميين، و كان الجنود على ظهر الخيول، و فى الموكب رايات كثيرة، و طبول و ابواق و ازياء غريبة لكنها مصنوعة من اقمشة عادية غير ثمينة، و كان هناك و سادة واحدة «تخت الوالى» مغطاة بقماش من النوع العادى، و كانت ثابتة تحت قضبان المحمل لا تتقدم مع الموكب، و يتم الجلوس عليها حسب الطريقة الاسيوية اعنى القرفصاء و قد اطلقت المدفعية من اعلى السور مرتين بالقبرات الحديدة، لكن الطلقتين لم تكونا قويتين جدا، مما جعلنى اضحك على جهل المدفعيين و خوفهم من المدافع.

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۱۱

الفصل الثالث و الثلاثون السفر الى حلب

لبث فى الموصل عبد المسيح الاخ الكبير للقس الياس، بينما رافقنا اخوه الاصغر عبد اللّه، و قد اشار علينا ان نأخذ زقا من الخمر، فحملناه مخفيا فى كيس و قد كان جزيل الفائدة لنا، لاننا كنا نقاسى البرد الشديد اثناء الليل.

(...) رافقنا من بغداد اسقف ارمنى، و قد تحدثت معه طويلا اثناء السفر، و دعوته احيانا الى تناول الطعام معنا ... و قد تجاذبنا اطراف الحديث خاصة فى المواضيع الدينية، و لاحظت فيه ميولا كاثوليكية، و كان قد قرر ان يترك ابرشيته و يلتجىء الى روما ... فطلب منى توصية بحقه عند القنصل الفرنسى فى حلب ليسهل له الابحار ...

و التقيت ايضا بقسيس ارمنى ... له ميول الاسقف نفسها ... و قبل ان نفترق اطلعهما عبد اللّه على حقيقة امرى بانى مطران فتملكهما العجب، و اظهرا نحوى مشاعر الاحترام و الاكرام ...

فى اليوم التالى وصلنا فى قافلة صغيرة الى قوجحصار ... و قد طلبوا منى رسوما مضاعفة بحجة وجود رسائل معى، و كانوا يريدون فتحها و الاطلاع على فحواها، و كانوا يشكون فىّ بانى جاسوس، او قنصل فرنسى لدى ايران، لكن المكارى انقذنى ...

فى نهاية تشرين الاول وصلنا الى اورفا، فحللنا فيها اربعة ايام، منتظرين قافلة كبيرة كانت تتهيأ للسفر الى حلب ... اخذونا الى نبع ابراهيم و هو نبع

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۱۲

يعقوب ايضا، و اهل المدينة يحترمون هذا الموضع و يجلونه، و تقوم فوق النبع قناديل كثيرة، و قد فرشوا السجاد حول الينبوع ... و يقوم بخدمة المكان شيخان، يدّعيان انهما من سلالة ابراهيم، و هما غنيان جدا و لهما ضيع و اطيان واسعة و هما فخوران جدا بشرف محتدهما، بحيث عندما قدّم السلطان مراد الى المدينة فى طريقة الى بغداد لينقذها «من الفرس»، لم يذهبا لزيارته، بل اصرا ان يأتى هو بنفسه إلى عندهما، ففعل دون ادنى امتعاض.

ان الينبوع المذكور يخرج من تحت اسس المسجد ليصب فى حوض كبير فيه سمك، و ماؤه صاف جدا، يقوم عن يمين الحوض مسجد فخم له اروقة تطل على الفسقية، و الى اليسار حديقة غناء و فى الحوض اسماك جميلة، امر السلطان المذكور ان يقدم لها كل يوم مئة رغيف من الخبز طعاما لها. كما ان المؤمنين الذين يؤمون المكان طلبا للسقاء ينثرون الخبز للاسماك، و لا يسمح بصيد تلك الاسماك بتاتا، و ان تجاسر واحد فصاد سمكة فيقاصص بقطع يده .

و على مسافة قريبة من الحوض، توجد بركة اخرى يطلق عليها اسم بركة عبدة ابراهيم، و يقولون ان هذه العبدة سقطت من القلعة العالية فى الحوض. و يقوم على جانبى البركة عامودان جميلان للغاية ينسبونهما الى نمرودNembrot و يروون عن هاتين البركتين الف حكاية ...

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۱۳

الفصل الرابع و الثلاثون فى حلب

زارنى فى حلب بطريرك السريان اندراوس، يرافقه اخوه المطران ، و كلاهما و الحق يقال مرآة تعكس جميع الفضائل، خاصة البطريرك ...

و اذ كنت فى حلب بلغنى ان بطريرك الارض قد قدم الى المدينة هاربا من القدس ... و كان فى حلب بطريرك اخر للطائفة الارمنية، و هو رجل طيب المعشر ... و عند ذهابنا الى الاسكندرونة لقرب اقلاع السفينة ... رافقنا ابن اخ البطريرك و اسمه بالفارسية خودا فردى و بالعربية عبد اللّه، و عمره نحو عشرين سنة ... و كان يريد السفر معى الى روما ... رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۱۵

الفصل الخامس و الثلاثون لمحة عن الامبراطورية العثمانية و تحليل حالتها

لقد تجولت فى انحاء هذه الامبراطورية الواسعة اربع مرات ... و نظرا لما رأيت بأم عينى و ما سمعت من اشخاص جديرين بالثقة اقاموا مدة طويلة فى مختلف مدن هذه الامبراطورية، او من مواطنيها على اختلاف مللهم و نحلهم، اعتقد انه بامكانى ان اؤكد صحة ما اكتبه.

ان نصف سكان هذه الامبراطورية هم اتراك، اما النصف الاخر فيتكون من مسيحيين: كاثوليك و يونانيين «يريد اروام» و سريان و ارمن و نساطرة و اقباط، هذا الى جانب اليهود الكثيرى العدد، اذ يبلغ عددهم فى اسطنبول وحدها نحو مئة و خمسين الفا، كما يسكن فى المملكة دروز و عرب و تركمان و اكراد و بوذيون. و بالرغم من ان هؤلاء الاقوام يدينون بالاسلام ... لكنهم يرفضون الخضوع للسلطة العثمانية، و لذا نراهم يشنون الهجمات الواحدة تلو الاخرى على السلطة فى مختلف الولايات و لا تقتصر غاراتهم على القوافل

و المسافرين بل على المدن المحصنة نفسها، كما حدث اكثر من مرة بالنسبة الى: البيرة و ارفا و قوجحصار و نصيبين و مدن اخرى عديدة، اضف الى ذلك الاتاوات التى يأخذونها من المسافرين. فهم بعملهم هذا يعتبرون انفسهم خارج الامبراطورية اذ لا يعترفون بسلطتها، و قد اقفرت المدن، من جراء تلك الهجمات، كما ان هؤلاء يرفضون الانخراط فى الجيش التركى، و كانوا يؤدون بعض الضرائب للحكومة فيما سبق، ولكنهم امتنعوا عن تأديتها نظرا لثقلها

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۱۶

عليهم ... ان التجار انفسهم اخذوا يهربون الى الجبال او الى ايران ...

للسبب نفسه، اعنى كثرة الضرائب.

هناك عامل اخر ادى الى ابعاد السكان عن المدن، اضافة الى ثقل الضرائب، الا و هو الحروب المتتالية ... فالحروب تدمر و ليس هناك من يعمر ... و المدن الخربة لا تعد و لا تحصر، و اثار الخراب بادية للعيان على طول الطريق بين بغداد و الموصل، لا بل حتى فى اورفا و حلب و اسطنبول و ازمير ...

ليس بالامكان رؤية اكثر من خمس عشرة مدينة كبيرة و على جانب من الاهمية فى تلك الامبراطورية، اما الاماكن الاخرى فليست سوى قرى و بليدات لا غير، و القسم الاكبر من هذه المدن يميل الى الخراب و قد تركه اهله، اضف الى كل ذلك الصحراء العربية الشاسعة، و بادية ما بين النهرين و كلدية، و الولايات الاخرى، بحيث يسير المسافر اسابيع كاملة دون ان يمر بمكان مأهول يستحق الذكر.

ان المدن العامرة و المأهولة بالسكان (تقع فى القسم الافريقى او الاوروبى (من الامبراطورية). و اعتراف الولايات الافريقية بالسلطة التركية اسمى فقط ... فهذه مصر حاقدة على السلطان و ترفض الخضوع له ، و لهذا السبب تضطر الحكومة الى تجميد قسم كبير من القوات فى مصر، و هذا يؤدى الى إنفاق اموال طائلة.

اما اسطنبول و الاماكن القريبة منها فيسكنها شعب غفير و سبب ذلك واضح، لانها مركز الثقل و فيها البلاط. و قد يتهيب الاوروبيون من الامبراطورية العثمانية لان مصدر الاخبار التى تردهم هى على الغالب من اسطنبول، و هناك تظهر الامبراطورية بمظهر اعظم بكثير مما هى فى الحقيقة.

بامكانى ان اؤكد بكل حق، انى فى المرات الاربع التى طفت بها ارجاء الامبراطورية، رأيتها تسير من سيىء الى اسوأ. و رأيت المدن تقفر من

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۱۷

سكانها ... فالموصل على سبيل المثال، كانت مكتظة بالسكان فى زيارتى الاولى، بينما رأيتها مؤخرا مقفرة و قد غادرتها اكثرية سكانها.

و الحوانيت مغلقة، لان اصحاب الصنائع و المهن و التجار كانوا قد هربوا الى جبال الاكراد ... اذ لم يبق لهم ما يقدمونه للضريبة العثمانية الجشعة.

و لقد اضعفت الامبراطورية و انهكت قواها حربها الطويلة مع البندقية ... لقد بدأ الاتراك يشعرون بسوء احوالهم، و قلة الارزاق، منذ ان بدأت هذه الحرب.

أما عن الطاعون فحدث عنه و لا حرج، فقد كان منتشرا فى ارجاء الامبراطورية، و ما ان تتخلص منه ولاية حتى تبتلى به ولاية اخرى، لقد اضعف الطاعون قواها و شل حركتها.

و من اسباب اضعاف الامبراطورية و انهاكها، الحروب الاهلية و الثورات التى كانت تنشب هنا و هناك. و على سبيل المثال الحرب التى شنها حسن باشا والى حلب، لقد هزت هذه الثورة آسيا الصغرى كلها و بلاد ما بين النهرين و مختلف الولايات ثم استطاع مرتضى

باشا خداعه فقطع رأسه و رؤوس اتباعه و كانوا كلهم من القادة المحنكين و من كبار موظفى الدولة. و بعد فترة انقلب ظهر المجن فحدث لمرتضى باشا و لاتباعه ما حدث لعدوه و قضى عليهم على يد احد امراء الاكراد بالقرب من الموصل، و ذلك بتحريض من الصدر الاعظم ، ان هذه المكائد حرمت الامبراطورية من رجال قديرين فاهمين .

قد يعتقد البعض ان عدد الجنود الهائل الذى ارسله العثمانيون فى الحرب الاخيرة ضد الامبراطور يكذب اقوالى، لكنى اعود فاقول بان عدد الانكشاريين كان قليلا- دائما، اما غالبية المحاربين المسلحين جمعت من الرعاع، دون اعداد كامل لحمل السلاح كما ظهر بوضوح فيما بعد ...

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۱۸

ملاحق الكتاب

الملحق رقم (۱) راجع الحاشية (۳) صفحة ۱۶ فرانسوا پيكيه Francois Piquet و يكتبه البعض بيكيت و پيكيه، ولد فى مدينة ليون (فرنسا) فى ۱۲ نيسان ۱۶۲۶، عينته حكومته قنصلا لها فى حلب سنة ۱۶۵۲، و كان يرعى فى الوقت نفسه مصالح الهولنديين. عاش حياة فاضلة و كان غيورا على امور الدين و الدولة. قدم خدمات كثيرة لنصارى الشرق، و يعود اليه الفضل الاكبر باقامة المطران اندراوس بطريركا للسريان الكاثوليك. كان دمث الاخلاق و طيب المعشر فاحبه اهل حلب مسلموها و نصاراها.

عاد الى بلاده سنة ۱۶۶۲ فاقام فيها نحو ثمانى سنوات، انخرط خلالها فى سلك رجال الدين فرسم قسيسا سنة ۱۶۶۳ ثم اسقفا على سرار و بوليس فى مقدونيا. فنصبه البابا اقليمسس العاشر نائبا رسوليا عاما على بلاد ما بين النهرين طبقا لبراءة مؤرخه فى ۱۵/ ۱/ ۱۶۷۵ و فى ۱۶/ ۹/ ۱۶۷۷ ارتقى السيد پيكيه الى الكرامة الاسقفية. ابحر الى الشرق فى ۱۱/ ۹/ ۱۶۷۹ اذ اختاره الملك لويس الرابع عشر سفيرا له لدى بلاد الشام، فعاد الى الشرق مارا بسوريا و منها الى ايران. توفاه اللّه فى همدان فى ۲۶/ ۸/ ۱۶۸۵ راجع عنه:

بطرس سارة: ترجمة السيد فرانسوا پيكيه فى مجلة المشرق ۲۳ «۱۹۲۵» ص ۹۴- ۱۰۶، ۱۷۸- ۱۹۳، ۲۵۲- ۲۶۴، ۳۵۵- ۳۷۲ كذلك «اخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت الى بلاد ارمينيا و العجم (۱۶۸۱- ۱۶۸۴) كتبها

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۱۹

السيد اثناسيوس سفر العطار السريانى اسقف ماردين مرافق المسافر و ترجمانه نشرها الخورى اسحق ارملة السريانى: المشرق ۳۲ «۱۹۳۴» ص ۱۰۹- ۱۳۰، ۲۸۲- ۲۹۵، ۴۴۱- ۴۵۹، ۵۹۲- ۶۰۸، طالع رباط: وثائق خطية ۱/ ۹۶ و ۱۰۳ و ۱۰۴».

افادنا الاستاذ كوركيس عواد مشكورا «ان اخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت طبعت على حدة و قد أخذت عن المشرق».

الملحق رقم (۲) راجع الحاشية (۱) صفحة ۱۸ قيل ان الكلمة Zecchino هى تصحيف كلمة «سكة» العربية، و هو نقد من الذهب يختلف باختلاف البلاد الغربية و البلاد الشرقية، ففى البندقية كان (الزكينو) يساوى اثنى عشر فرنكا فرنسيا من الفرنكات القديمة، و فى البلاد الشرقية كان يساوى من سبعة فرنكات الى تسعة.

ريجاردكوك: بغداد مدينة السلام ترجمة فؤاد جميل و الدكتور مصطفى جواد (بغداد ۱۹۶۷) جزء ۲ ص ۴۰.

العزاوى: تاريخ النقود العراقية (بغداد ۱۹۵۸) ص ۱۳۲.

الملحق رقم (۳) راجع الحاشية (۳) صفحة ۱۸ قامت فى منطقة الرها مملكة دعيت باسم «أورهاى» Osroene و عاصمتها مدينة الرها Edessa او اورفا، و قد تسمى اكثر من ملك باسم ابجر، اما القصة التى يدور الكلام عليها فى رحلتنا فتخص الملك ابجر الخامس او كاما (أى الاسود) الذى عاصر السيد المسيح. و ملخص القصة ان هذا الملك اصيب بالبرص. و قد بلغته اخبار المعجزات و الاشفية التى كانت تجرى على يد السيد المسيح، فكتب اليه معترفا بألوهيته و برسالته السامية و ملتمسا الشفاء، و دعاه للمجيء الى مملكته ليتخلص من عداء اليهود و شرهم،

رحلة سبستيانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۲۰

فاجابه يسوع بان رسالته يجب ان تكمل فی فلسطين، و وعده بارسال احد تلاميذه الی مملكته بعد صعوده الی السماء.

و قد ذكر المؤرخ الكنسی اوسابيوس القيصری هذه القصة فی كتابه «تاريخ الكنيسة» الكتاب الاول: الفصل ۱۳/ ۱- ۲۰ الطبعة العربية ترجمة القس مرقس داؤد: القاهرة ۱۹۶۰ ص ۵۷- ۶۲». و ادعی اوسابيوس انه حصل علی صحة تلك المعلومات من ارشيف مملكة اورهای. لكن المؤرخين المتأخرين ينكرون صحة تلك الحكايات و ينسبونها الی زمن انتشار المسيحية فی مملكة اورهای علی عهد ابجر التاسع (۱۷۹- ۲۱۶) و هو اول من تنعم من الملوك الاباجرة. و قد نشرت القصة فی بعض لغات اوروبا، منها:

G. Phillips: The Doctrine of Addai, the Apostle.(London ۶۷۸۱)Duge, Paris ۲۱۹۱, tome ۱, col. ۳۱۱

و قد جاء فی كتاب صورة الارض لابی قاسم ابن حوقل النصيبی، فی كلامه عن الرها: «و الغالب علی اهلها النصاری و بها زيادة علی ثلثمائة بيعة و دير ذی صوامع فيه رهبانهم و فيها البيعة التی ليس للنصرانية اعظم و لا ابدع صنعة منها ...

و كان فيها منديل لعيسی بن مريم ...» (ليدن ۱۹۳۸) ط ۲ ص ۲۲۶- ۲۲۷.

الملحق رقم (۴) راجع الحاشية (۱) صفحة ۲۲ يعقوب النصيبينی من اشهر رجال الكنيسة الكلدانية- المشرقية فی المائة الرابعة للميلاد، ولد فی نصيبين، و سقف عليها سنة ۳۰۹ و له مؤلفات و رسائل. توفی سنة ۳۳۸ شيد كنيسة فخمة (۳۱۳- ۳۲۰)، و ينسب اليه بناء دير فی جبل قردو، كما انه سعی الی تأسيس مدرسة عهد بادارتها الی تلميذه مار افرام، و قد لعبت هذه المدرسة دورا ثقافيا و فقهيا مهما فی حياة الكنيسة.

ان الضريح الذی شاهده سبستيانی فی الكنيسة هو تربة القديس يعقوب قال ادی شير عن هذه الكنيسة «ضبطها اليعاقبة من الكلدان فی منتصف الجيل الماضی» تاريخ كلدواثور ج ۲ ص ۴۲.

رحلة سبستيانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۲۱

ان فرانشنو مرافق سبستيانی وصف هذا الموضع وصفا دقيقا فی كتابه عن رحلته الی الهند، و قد شرعنا بتعريب هذه الرحلة و نؤمل ان نقدمها قريبا الی القراء الكرام.

الملحق رقم (۵) راجع الحاشية (۲) صفحة ۲۵ لم يذكر سبستيانی اسم المكان، لكنه يريد به «حمام علی» الذی يطلق عليه البعض اسم حمام العليل. و يقع علی بعد ۱۶ ميلا جنوبی الموصل، يقصده الناس من الموصل و اطرافها طلبا للاستشفاء و الترويح عن النفس.

ذكره الحموی فقال «حمام علی» باصطلاح اهل الموصل و هو بين الموصل و جهينة قرب عين القار غربی دجلة و هی عين ماؤها حار كبريتية يقولون اهل الموصل ان بها منافع و اللّه اعلم» ۲/ ۳۲۹ و لهذا الموضع اخبار كثيرة، انظر: كوركيس عواد! حمام علی فی المصادر القديمة فی مجلة الاخبار عدد ۵ (بغداد ۱۰ ايلول ۱۹۳۸) ص ۱۲- ۲۰- و ۳۱، فرقد علی الجميل اصطياف الموصليين فی حمام العليل فی مجلة التراث الشعبی ۴ (۱۹۷۳) العدد ۷ ص ۴۰- ۵۸ و كذلك «للاصطياف فی حمام العليل» لمحمد صديق الجليلی (الموصل ۱۹۶۵، ۲۹ ص).

الملحق رقم (۶) راجع الحاشية (۳) صفحة ۲۷ قدم الاباء الكبوشيون الی بغداد نحو سنة ۱۶۲۶ (رباط: وثائق خطية ۱/ ۵۱۳، نصری: ذخيرة الاذهان ۲/ ۱۹۵)، و ليس سنة ۱۶۱۹ كما قال رزوق عيسی فی مقالته «كنائس النصاری فی بغداد» نشرة الاحد ۴ (۱۹۲۵) ص ۶۷۵ و لا سنة ۱۶۲۸ كما قال الكاتب نفسه فی مقالته «مدرسة الاباء الكبوشيين فی بغداد» نشرة الاحد ۱۳ (۱۹۳۴) ص ۴۰۷ و ۴۷۷ و قد ترك الاباء الكبوشيون عاصمة الرشيد سنة ۱۷۰۲.

رحلة سبستيانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۲۲

الملحق رقم (۷) راجع الحاشية (۱) صفحة ۲۸ البندقية مدينة كبيرة فی ايطاليا (فينيسياVenezia) تقوم علی مجموعة من الجزر

الصغيرة، موقعها جميل و لها سحر يأخذ بمجاميع القلوب.

لعبت البندقية فی القرون الوسطی دورا مهما، فاقامت جمهورية مستقلة يحكمها الدوج. و اخضعت المقاطعات الايطالية المجاورة لسلطاتها، و بنت اسطولا قويا سيطر علی البحر الابيض المتوسط و اخذ يتحرش بالممالك القريبة حتی استولی علی البانيا و دالماسيا، و كان موضوع قلق دائم للامبراطورية العثمانية.

ان المؤلف يلمح فی رحلته الی الحرب التی نشبت بين جمهورية البندقية و الامبراطورية العثمانية سنة ۱۶۴۵ و دامت الی سنة ۱۶۶۹، فقد توجه الاسطول البندقی الی الشرق و اراد ضرب الاسطول العثمانی فی معاقله، فتوغل حتی الدردنيل و بحر مرمرة و قد حالفه الحظ فی اكثر من معركة لكنه فی الاخير خارت قواه فكان النصر حليف العثمانيين.

J. DeHammer: Histoirede IEmpireot to man, Paris ۷۳۸۱, vol. XI, Passim.

الملحق رقم (۸) راجع الحاشية (۱) صفحة ۴۴ الكرمليون رهبان فی الكنيسة الكاثوليكية، و اسم رهبنتهم نسبة الی جبل الكرمل فی فلسطين، يرجع تأسيس هذه الرهبنة الی القرن الثانی عشر.

قدم الكرمليون الی العراق منذ عهد بعيد، يرتقی الی سنة ۱۶۲۳ يتقدمهم الاب باسيليوس للقديس فرنسيس (البرتغالی)، و سعوا فی هداية الصابئة اذ كانوا يعتبرونهم فرقة نصرانية، و لذا كانوا يطلقون عليهم اسم «نصاری القديس يوحنا» نسبة الی يوحنا المعمدان.

و ما زال الكرمليون فی البصرة و بغداد الی يومنا هذا.

رحلة سبستيانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۲۳

نصری: ذخيرة الاذهان ۲/ ۱۹۵، رباط: الاثار الخطية ۱/ ۳۸۸- ۳۸۹

SirH. Gollancz: Chronicale of Events between the year ۳۲۶۱ and ۳۳۷۱ relating to Settlment of the order of Carme litesin Mesopotamia(Bassora). Oxford ۷۲۹۱. AChronical of Carmel itesin Persia) London ۹۳۹۱ (۲ vols.

الملحق رقم (۹) راجع الحاشية (۳) صفحة ۵۱ السائح الايطالی بيترو ديللافاله، Pietro Della Vaile من اقدم الرحالين الاوروبيين الذين جابوا بلاد الشرق، ولد سنة ۱۵۸۶ و كانت اولی سياحاته ما بين ۱۶۱۶- ۱۶۲۱ زار خلالها بلاد اشور و بابل و فارس و الاصقاع المجاورة، و ألم ببعض اللغات الشرقية، و كان فی طوافه فی ارض العراق، عنی عناية خاصة بفحص اخربة كثيرة من المدن القديمة، كبابل و اور و غيرهما. و اذ كان فی ايران فحص بقايا تخت جمشيد و نقش رستم و برسيوليس، فقد كان عالما اثريا الی جانب حبه للتجوال، و هو اول من نقل الی اوروبا صفائح الاجر المنقوش عليها بالخط المسماری.

و كان ديللافاله حين اقامته ببغداد، قد تزوج بفتاة مسيحية من الطائفة الكلدانية اسمها «معانی» و اصلها من ماردين، و قد رافقته فی رحلته الی فارس، و قد اغرم بها، توفيت سنة ۱۶۲۱، فنقل رفاتها معه الی روما و دفنها فی كنيسة اراشيلی Aracoeli و كان قد رثاها، و نشر هذا الرثاء فی البندقية سنة ۱۶۲۷، توفی ديللافاله سنة ۱۶۵۲.

ان حديث تنقلاته فی الشرق اودعه فی رسائل بالايطاليا بعث بها الی صديقه ماريو سكيبانو Mario Schipano استاذ الطب فی نابولی. و قد طبع بعدئذ فی مجلدين بعنوان «رحلات بيرترو ديللافاله السائح كتبها بنفسه فی رسائل عائلية».

Viaggidi Pietrodell avalleil Pellegrinoda Luimedesimoin lettere familiari.

رحلة سبستيانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۲۴

فظهرت طبعتها الاولی سنة ۱۶۵۳ ثم طبعت طبعة حسنة سنة ۱۸۴۵ فی مجلدين، و نقلت الی الفرنسية و طبعت سنة ۱۶۶۱- ۱۶۶۳ و نقل ما يخص بلاد الهند الی الانكليزية، و طبع سنة ۱۶۶۵، و لم يترجم القسم الخاص بالعراق الی العربية بل ظهرت مقتطفات من الرحلة فی نشرة الاحد التی كانت تصدر فی بغداد (المجلد الاول سنة ۱۹۲۲).

الملحق رقم (۱۰) راجع الحاشیة (۱) صفحة ۵۳ یتکلم سبستیانی فی الفصل السابع من الکتاب الثالث (المجلد الاول ص ۱۹۱- ۱۹۵) عن المغول و المناطق التی یسکنون فیها و یذکر اهم مدنهم، ثم یقول: «و اذ کنت فی سورات بلغنی ان سفیر السلطان العثمانی کان هناک و اسمه حسین باشا و کان فی سفارة لدی عظیم المغول، و کان یحمل هدایا ثمینة للغایة من جملتها قطعة من الزمرد تزن ۳۳۴ قیراطا، یقدر ثمنها بمائتی الف قطعة من ذوات الثمانیة؟»، و عند ما بلغ حسین باشا الی احمد اباد افهمه الامیر ان والده کان قد قضی نحبه، و لذا فعلیه ان یتباحث معه و یکمل سفارته، فاجاب الباشا أن غایة رسالته موجهة الی الملک المغولی نفسه و لیس الی احد انجاله، و بالرغم من ذلک، فان کان و لا بد من اداء الرسالة المناطة به فمن واجبه ان یتباحث مع الابن الاکبر و الا فعلیه أن یعود من حیث اتی. فکتب للحال رسالة الی بلاط اثمرة لکنه لم یستلم جوابا، و فی هذه الاثناء کان امیر احمد اباد یلح علی السفیر کی یکمل وفادته معه و یسلمه الهدایا السلطانیة دون ان ینتظر الجواب، ثم اخذ یکشر عن انیابه فاضطر السفیر للرضوخ الی ارادته فقدم الهدایا فقبلها الامیر بقلب منشرح! لکن السفیر لم یرتح، نظرا الی ان ذاک الامیر کان صدیق الشاه الایرانی ... و عند ما وصل السفیر الی سورات سمع من البعض ان الخان الاکبر لا یزال علی قید الحیاة فاغتم کثیرا و اضطرب ...» (۱/ ۱۹۴- ۱۹۵) ثم یضیف سبستیانی فیقول عن السفیر «انه کان لطیفا و مهذبا» (۱/ ۱۹۹) و یقول انه «ابن الامیر فخر الدین سید الدروز الذی قتله السلطان»

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۲۵

(۱/ ۱۹۹) و قد رکب السفینة «عمادی» (۱/ ۱۹۶) ثم ابدل السفینة باخری متوجهة الی البصرة مباشرة ۱/ ۱۹۹) و قد تمرض فی الطریق (۱/ ۱۹۸).

و قد نوه کتاب کلشن خلفا عن هذه السفارة قائلا: «و کان آخرها صحبة حسین اغا الذی عاد عن طریق بغداد بعد اداء مهمته» و قال انه من آل معن «معن زاده حسین اغا» (ص ۲۵۳) و جرت السفارة علی عهد محمد باشا الخاصکی والی بغداد (لونکریک ص ۱۱۵) و یقول العزاوی ان الرسول اعاد الهدایا (تاریخ العراق بین احتلالین ۵/ ۶۱).

راجع ایضا، عیسی اسکندر المعلوف: تاریخ الامیر فخر الدین المعنی الثانی ص ۴۲ و ۲۴۷ حیث ذکر سفارته الی الهند (ص ۲۴۹)، و کذلک مقالة المعلوف «مخطوط للامیر حسین ابن الامیر فخر الدین المعنی: فی المشرق ۲۷ (۱۹۲۹) ص ۸۱۱- ۸۱۵ و قد عین المعلوف سنة وفاة الامیر حسین ۱۶۹۷ و ذلک فی الاستانة.

الملحق رقم (۱۱) راجع الحاشیة (۲) صفحة ۵۳+ ۵۴ یتکلم سبستیانی عن افراسیاب الدیری. قال الشیخ فتح اللّه بن علوان الکعبی فی کتابه زاد المسافر و لهنة المقیم و الحاضر (بغداد ۱۹۵۸ ص ۱۷- ۱۸) «و سبب حکومة افراسیاب فی البصرة علی ما نقل الی انه کان کاتبا للجند المحافظ فی البصرة فاتفق رأی اهل البصرة علی هجر الحاکم الرمی و کان اسمه علی باشا فقلت مداخیله و عجز عن ارزاق الجند المحافظین معه فباع البصرة من افراسیاب المذکور بثمانیة اکیاس رومیة و الکیس ثلاثة آلاف محمدیة علی ان لا یقطع الخطبة من اسم السلطان فرضی بذلک افراسیاب و اشتری البصرة و توجه الرومی الی اسطنبول فحکم فی البصرة افراسیاب و نشر العدل فحسنت ایامه و احبته الرعیة و قوی سلطانه .. و کان ابتداء حکومته فی سنة (۱۰۰۵) الخامسة بعد الاف، و استمرت حکومته سبع سنین ..» و قد نقل الاعظمی هذا الکلام فی کتابه «تاریخ البصرة» ص ۱۲۸- ۱۳۰ و یضیف ان

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۲۶

وفاته کانت فی البصرة سنة ۱۰۱۲ ه. و هذا یعنی ان افراسیاب حکم ما بین ۱۵۹۶ - ۱۶۰۳ حسب التاریخ المیلادی، بینما یؤکد لونکریک «لم یتول افراسیاب نفسه حکومة البصرة الا حوالی سنة ۱۶۱۲» و انه من المؤکد «ان افراسیاب عاش حتی سنة ۱۶۲۴» و لذا «من المحتمل ان علیا کان یقوم بمهام الدولة فی حیاة والده حتی مات» (اربعة قرون ص ۱۳۲ الهامش).

(۲) اما علی باشا ابن افراسیاب فقد حکم بعد ابیه «بوصیة منه الیه فأنشأ العدل و قطع الظلم و حسنت سیرته و رفع العلم و اهله ... و کانت ایامه شبیهة بایام هارون الرشید ... فی الرفاهیة و طلب العلم و الاداب .. و استمرت حکومة علی باشا خمسا و اربعین سنة (زاد

المسافر ص ۱۸- ۱۹).

حدد الاعظمی سنة وفاة علی باشا ۱۰۵۷ ه (۱۶۴۷ م).

(۳) و قال الکعبی ایضا «ثم حکم بعده ابنه حسین باشا فسار سیرة ابیه قلیلا ثم خالفه و تجبر فی حکومته و بسط یده فی الظلم ...» (ص ۱۹) و قد اجمع المؤرخون علی ذم سیرة حسین باشا (کلشن خلفا ص ۲۴۸).

تولی الحکم سنة ۱۰۵۷ ه (علی حد قول الاعظمی ص ۳۰) (و سنة ۱۶۵۰ م اعنی ۱۰۶۰- ۱۰۶۱ ه (علی رأی لونکریک: المرجع ص ۱۳۹).

کانت نهایة حسین باشا انه هرب «الی الدورق ثم الی شیراز ثم الی الهند و انکفأ هناک حتی مات ..» علی الشرقی: آل افراسیاب و خراب الجزائر فی مجلة لغة العرب ۴ (۱۹۲۷) ص ۵۷۵-. ۵۷۸

الملحق رقم (۱۲) راجع الحاشیة (۱) صفحة ۵۹ میخائیل اغا طوبجی: هو میخائیل «اغا کوندولیو Condoleo . اصله من کاندی ای جزیرة کریت. و هناک من یقول انه یونانی (رباط: الوثائق الخطیة ۲/ ۳۲۱) او من البندقیة (المرجع نفسه ۲/ ۲۷۲)، قیل انه ارثوذکسی و قال بعضهم انه کاثولیکی (رباط ۱/ ۵۹۱) رحلة اول شرقی الی امیرکا ص ۴ فی الهامش، و اکتفی سبستیانی بقوله انه مسیحی.

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۲۷

قدم خدمات کبیرة للعثمانیین و ابلی بلاء حسنا ابان حرب العثمانیین ضد الفرس من اجل استرجاع بغداد، فقد کان خبیرا بالمدفعیة، فجازته الحکومة خیر جزاء و وهبته الاراضی الشاسعة فی بغداد و فی سوریة. و کانت رتبته «طوبجی باشی او مدیر الطوبخانات الشاهانیة فی الشام و حلب و بغداد».

کتب عنه دی لا موت لا مبیرت سنة ۱۶۶۱ یمدحه للخدمات التی قدمها له فی الکمرک و فی مختلف المناسبات «ان الطوبجی باشی ای قائد المدفعیة فی هذه المدینة (یرید بغداد) انسان شریف ... قدم لنا الف خدمة، و هو بعض ایمانه المسیحی الکاثولیکی الذی نشأ علیه، لانه بندقی یقیم عادة بالقرب من دمشق فی ارض وهبه ایاها السلطان، مجازاة له علی الخدمات العظیمة التی قدمها له فی حربه ضد ملک فارس، و تبلغ واردات الارض نحو اربعة- خمسة الاف دینار.

(الکرملی: النقود العربیة و علم النمیات: مادة السکی ص ۱۴۸). کان له ابن تعین فی رتبة ابیه نفسها بالرغم من صغر سنه، ان صاحبنا البندقی یترک اراضیه الواقعة علی بعد مسیرة یوم من طرابلس فی سوریة لیذهب الی بغداد فیقوم بمهام وظیفته.

و یستغرق سفره ۲۰ یوما، و یکون سفره فی ابعد الاوقات بعد ۱۵ تشرین الاول فیصل بغداد فی مطلع تشرین الثانی (رباط: وثائق خطیة ۲/ ۲۷۲).

کان المسیحیون یلجأون الیه فی صعوباتهم، ففی دمشق اشتری الرهبان الکبوشیون بیتا باسمه (المرجع نفسه ۱/ ۵۹۱) و هکذا فصل الیسوعیون (المرجع نفسه). و عند استرجاع بغداد، وضع الاتراک یدهم علی دیر الکبوشیین، فتوسل الرجل لاستعادته (تافرنیه ۸۱).

الملحق رقم (۱۳) راجع الحاشیة (۲) صفحة ۶۳ القس الیاس ابن القس حنا الموصلی الکلدانی من عائلة بیت عمون، قام باکثر من رحلة الی الغرب الی جانب هذه الرحلة مع سبستیانی، ففی سنة

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۲۸

۱۶۶۸ سافر من بغداد لزیارة الاراضی المقدسة، و بعد ان قضی فترة فی حلب ابحر من الاسکندرونة الی البندقیة، و توغل فی ایطالیا و فرنسة و البرتغال و جزیرة صقلیة ثم عاد الی اسبانیا. عقد خلال اسفاره صلات مع ملوک و امراء کثیرین، ثم رکب البحر من قادس الی امریکا فمر علی جزر الکناری ثم امریکا الجنوبیة فساح فی اطراف کولومبیا و بناما و البیرو و بولیفیا و الارجنتین و شیلی ثم عاد الی لیما فی البیرو سنة ۱۶۸۰ و ما لبث ان سار الی المکسیک و یسمیها ینکی دینا (ای العالم الجدید)، ثم امیرکا الوسطی و اخیرا قفل راجعا الی اوروبا، و قابل البابا انوشنسیوس الحادی عشر (۱۶۷۶- ۱۶۹۸) فانعم علیه بهدیة مادیة و بألقاب شرفیة.

انه بكل حق اول شرقى يذهب الى العالم الجديد.

لم يذكر القس الياس الاسباب التى دعته الى السفر، و يعتقد ناشر الرحلة، الاب انطون رباط اليسوعى «انه ذهب ليجمع حسنات المسيحيين لفائدة اهل جلدته»، و هذا ما يردده كرانشكوفسكى (تاريخ الادب الجغرافى العربى ص ۷۰۲) او «فى مهمة خاصة من المحتمل انه قصد عدم الاشارة اليها» (المرجع نفسه)، و اعتقد ان الرجل كان من محبى الاطلاع و من جوّابى الافاق، لان تاريخ الكنيسة التى انتمى اليها لم يذكر له شيئا من الميراث او الاعمال الخالدة.

ان رحلة القس الياس جرى نشرها بعنوان «رحلة اول شرقى الى امريكا) فى مجلة المشرق ۸ (۱۹۰۵) ثم اعاد ناشرها الاب انطون رباط اليسوعى طبعها فى كتاب مستقل فى المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين فى بيروت (۱۹۰۶). و جاء ذكره فى ذخيرة الاذهان ۲/ ۳۵۸- ۳۶۰ و بحث فى نسبه و رحلته يعقوب سركيس فى مجلة لغة العرب اولا ۹/ ۱۹۳۱) ص ۴۴۷ فى كتابه مباحث عراقية ۱/ ۳۳۱ و قال سركيس ان رحلته بدأت سنة ۱۶۵۹ و الاصح ۱۶۵۸، طالع ايضا كرانشكوفسكى: تاريخ الادب الجغرافى العربى ۲/ ۷۰۱- ۷۰۵.

و قد اعادت السيدة ابتهاج عمر طاهر الراضى نشر هذه الرحلة فى مجلة

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۲۹

المورد ۴ (۱۹۷۵) المجلد الثانى ۱۶۷- ۱۹۴، و نعم ما فعلت، نظرا لندرة الطبعة البيروتية، و كنا نتمنى من الباحثة الكريمة ان تحقق هذه الرحلة.

الملحق رقم (۱۴) راجع الحاشية (۳) صفحة ۶۳ ان عم القس الياس هو البطريرك الذى جلس بين سنة ۱۶۱۷ و توفى فى ۱۸ حزيران ۱۶۶۰ و تاريخ الوفاة اكيد من النصب الجنائزى الموجود على قبره فى دير الريان هرمز (عواد: اثر قديم فى العراق دير الريان هرمز) الموصل ۱۹۳۴ ص ۳۸ و اسم البطريرك ايليا، و قد اختلف المؤرخون فى مرتبة هذا البطريرك فى سلسلة البطاركة الالياويين (نسبة الى ايليا) فقال تيسران «ايليا التاسع» (خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية، ترجمة القس سليمان الصائغ- الموصل ۱۹۳۹ ص ۱۴۶، و كذلك القس البير ابونا (اداب اللغة الارامية- بيروت ۱۹۷۰- ص ۶۶۹) و نفنكجى (الكنيسة الكلدانية قديما و حاضرا) (بالفرنسية) ص ۱۳، اما يعقوب سركيس فقال (ايليا السابع) و قال ايضا انه صار بطريركا سنة ۱۶۲۷ (مباحث ۱/ ۳۵۲) و نقل ذلك عن المشرق ۳ (۱۹۰۰) ص ۸۲۷ بينما دعاه نصرى «الثامن» (ذخيرة ۲/ ۱۹۴)

اما عن انتماء البطريرك العقائدى فقد اختلف المؤرخون ايضا، فجاء فى المشرق (المرجع نفسه) انه مات كاثوليكيا، و هذا ما قاله نفنكجى (المرجع نفسه) بينما يؤكد نصرى نسطرته (۲/ ۱۹۴) و كذلك تيسران (خلاصة ص ۱۲۳) بالرغم من ان البطريرك عقد مراسلة مع الكرسى الرسولى بواسطة الاباء الكبوشيين فى ديار بكر، واكد ذلك صاحب الرحلة فقال عنه انه «مات على ضلاله».

الملحق رقم (۱۵) راجع الحاشية (۱) صفحة ۷۶ ان المطران اندراوس الذى يدور الكلام عليه، هو اخيجان بن عبد الفال

رحلة سبستيانى/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۳۰

بن مربه، و هو حلبى المولد، ماردينى الاصل. انتمى الى الكنيسة الكاثوليكية بتأثير الرهبان المرسلين فى حلب، فارسلوه الى لبنان حيث ترهب فى قنوبين سنة ۱۶۴۹ ثم نال الرسامة الكهنوية على يد البطريرك المارونى مار يوسف العاقورى، و ارسل الى روما لتكميل الدراسة فى كلية انتشار الايمان (رباط:

الوثائق الخطية ۱/ ۴۵۲) و عاد الى حلب سنة ۱۶۵۴ و كان كرسى حلب الاسقفى شاغرا فطلب السفير الفرنسى بيكيت من البطريرك اغناطيوس شمعون ان يرشحه للاسقفية فلبى طلبه، و نال الرسامة من البطريرك المارونى مار يوحنا بواب المكنى بالصفراوى، فتمت رسامته فى ۲۹/ ۶/ ۱۶۵۶ باسم المطران ديونيسيوس و على اثر ذلك نشبت خلافات بين السريان القديم و السريان المتكثلكين، انتخب بطريركا سنة ۱۶۶۲ و انتقل الى جوار ربه فى ۲۴ تموز ۱۶۷۷ (تعاشة: عناية الرحمان ص ۳۶- ۶۹، رباط: المرجع نفسه ۱/ ۹۴- ۱۹۳ و ۴۵۲- ۴۵۴ و ۴۷۰ و ۵۱۰ المجلد الثانى ص ۶ و ۷۸- ۷۹) و قيل ان وفاته حدثت سنة ۱۶۷۸ (وثائق تاريخية عن حلب للاب فردينان

توتل الیسوعی، بیروت ۱۹۵۸) ص ۳۸.

الملحق رقم (۱۶) راجع حاشیة (۲) صفحة ۸۷ النبی ناحوم هو احد انبیاء العهد القدیم، ورد ذکره فی الکتاب المقدس:

و مطلع نبوءته «وقر نینوی» سفر رؤیا نحوم الالقوشی» (نا ۱/ ۱).

قیل ان ناحوم (۷۲۰- ۶۹۸ ق. م) عاش و مات فی هذه القریة، و لا تزال تحتفظ بضریحه الی الیوم، و کان الیهود من العراق و خارجه یزورون تربته.

و ذهب بعض المؤرخین الی ان ناحوم کان من قریة فی الجلیل اسمها القوش، اندثرت اثارها، (طالع عواد: بلدة القوش و النبی ناحوم فی مجلة النجم ۵ (۱۹۳۳) ص ۴۰۳- ۴۰۷).

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۳۱

الملحق رقم (۱۷) راجع الحاشیة (۳) صفحة ۸۸ ذکر نیبور فی کتابه مسرح ترکیة (ص ۶۳- ۶۴) فی مجری کلامه عن البطارکة، ان البطریرک کان حدیث السن فقال: کما جری البطریرک الیاس المقیم بقرب نینوی قبل وقت قریب جدا) نقلا عن یعقوب سرکیس/ مباحث عراقیة ۱/ ۳۵۳.

الملحق رقم (۱۸) راجع الحاشیة (۵) صفحة ۸۸ یظهر ان البطریرک الشاب مار ایلیا یوحنا مرجین حاول التقرب من البابا، ففی ۲۲ تشرین الثانی ۱۶۶۹ وجه کتابا الی البابا کلیمنس التاسع وقعه هو و ثلاثة من مطارنة طائفته، و قد ضم الکتاب بعض المطالیب (راجع تیسران- الصائغ، خلاصة ص ۱۲۳، و تجد نص الرسالة فی کتاب الاباشموئیل جمیل: علاقة الکنیسة الکلدانیة بالکرسی الرسولی (باللاتین)

Genuinae Relati one sinter Sedem Apostolicamet Assyrorum Orientaliumseu Chaldaeorum Ecclesiam. Roma ۲۰۹۱, p. ۸۳۵- ۰۴۵.

لکن البطریرک لم یعلن عن انتمائه الی الکنیسة الکاثولیکیة.

الملحق رقم (۱۹) راجع الحاشیة (۱) صفحة ۹۱ ان المؤلف یشیر الی الموضع الذی یعرف عند اهل الموصل باسم «العوایة»، لان الماء عند اصطدامه باثار سد هناک تصدر عنه اصوات کانها «العوی». ذکر هذا السد الرحالة الفرنسی تافرنیه: «فی السادس عشر بلغنا سدا ضخما، عرضه ۲۰۰ قدم، و یشکل شلالا فی النهر انحداره عشرون قامة ...

فاضطررنا الی النزول برا مع احمالنا» (رحلته المترجمة ص ۷۰- ۷۱) و ذکره تیغنو فقال: «و هناک تلاحظ آثار جسر قدیم تمر المیاه تحته بسرعة فتولد صوتا

رحلة سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۳۲

هائلا، حتی اننا سمعنا هذه الزمجرة عن بعد نصف ساعة قبل الوصول الی الموضع» ترجمتنا المخطوطة للرحلة). و ذکر نیبور ایضا (رحلة نیبور الی العراق: ترجمة الدکتور محمود الامین، بغداد ۱۹۶۵، ص ۱۰۳) و اضاف مترجم الرحلة انه شاهد «فی اواخر نیسان ۱۹۴۹ بقایا رقبة هذا الجسر من الجانب الغربی لدجلة قبالة قریة النمرود الحالیة ...» و ذکرها لا بارد.

Nivevehandits Resains, London ۰۷۹۱.

ص ۶۸ و ص ۷۰ و ۲۴ و کذلک ریج (نقلا عن رحلة تافرنیه المترجمة ص ۱۴۵).

الملحق رقم (۲۰) راجع الحاشیة (۱) صفحة ۱۰۹ قدم الرهبان الکبوشیون الی الموصل فی سنة ۱۶۳۶ و ترکوها کما اسلفنا، ثم عادوا سنة ۱۶۶۳ او ۱۶۶۴، فقال «ذهبت فحللت عند الآباء الکبوشیین الذین کانوا قد قدموا الی المدینة منذ مدة قصیرة ... و کان هناک کبوشیان هما حضرة الاب جان رئیس رسالة بغداد و الاخ جورج الذی کان یطبب للاهلین مجانا ...» و قد ترک الکبوشیون الموصل ثم عادوا الیها سنة ۱۷۲۱ لکنهم لم یمکثوا الاثلاث سنوات فغادروها نهائیا سنة ۱۷۲۵. راجع:

Histoired elamissiond ominicaineen Mesopotamiepar leFr. B. M. Goormachtigh O. P., in: Analecta S. Or. Fr. Praedcatorum ۱۱۱, fase

..۲۷۰

(معلومات من الاب منصور لیکونت الدومینکی، مع شکرنا الجزیل).

***

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۳۳

المراجع

- تافرنیه: العراق فی القرن السابع عشر (ترجمهٔ بشیر فرنسیس و کورکیس عواد) بغداد ۱۹۴۴.

- الحسنی (عبد الرزاق): الصابئون فی حاضرهم و ماضیهم (مطبعهٔ العرفان- صیدا ۱۹۵۵) الحموی (یاقوت): معجم البلدان (طبعهٔ و ستفیلد)

- درور (اللیدی): اساطیر و حکایات شعبیهٔ صابئیهٔ، ترجمهٔ نعیم بدوی و غضبان رومی (بغداد ۱۹۷۳).

- درور (اللیدی): الصابئهٔ المندائیون، ترجمهٔ نعیم بدوی و غضبان رومی (بغداد ۱۹۶۹).

- رباط (الاب انطوان رباط الیسوعی): رحلهٔ اول شرقی الی امیرکا و هی سیاحهٔ الخوری الیاس ابن القسیس حنا الموصلی من عیلهٔ بیت عمون الکلدانی ۱۶۶۸- ۱۶۸۳ (المطبعهٔ الکاثولیکیهٔ للاباء الیسوعیین- بیروت ۱۹۰۶)

- سرکیس (یعقوب): مباحث عراقیهٔ (ج ۱ بغداد ۱۹۴۸) و (ج ۲ بغداد ۱۹۵۵)

- العزاوی (المحامی عباس): تاریخ العراق بین احتلالین ج ۵ (۱۳۷۲ ه- ۱۹۵۳ م) الغزی (کامل بن حسین بن بالی الحلبی): نهر الذهب فی تاریخ حلب (۳ اجزاء).

- کوک (ریجارد): بغداد مدینهٔ السلام (ترجمهٔ فؤاد جمیل و الدکتور

رحلهٔ سبستیانی/ ترجمه بطرس حداد، ص: ۱۳۴

مصطفی جواد) ج ۱ بغداد ۱۹۶۲ و ج ۲ بغداد ۱۹۶۷.

- لو نکریک (ستیان هیملی): اربعهٔ قرون من تاریخ العراق الحدیث (ترجمهٔ جعفر خیاط) ط ۴ بغداد ۱۹۶۸.

- المعلوف (عیسی اسکندر): تاریخ الامیر فخر الدین المعنی الثانی (نشره ریاض المعلوف) ط ۲ المطبعهٔ الکاثولیکیهٔ- بیروت ۱۹۶۶.

- نصری (القس بطرس): ذخیرهٔ الاذهان فی تاریخ المشارقهٔ و المغاربهٔ السریان (ج ۱ الموصل ۱۹۰۵) و (ج ۲ الموصل ۱۹۱۳) فی مطبعهٔ الاباء الدومنیکیین.

- نقاشهٔ (المطران دیونیسیوس افرام): عنایهٔ الرحمان فی هدایهٔ السریان بیروت ۱۹۱۰.

- نظمی زاده مرتضی افندی: کلشن خلفا (تعریب موسی کاظم نورس) مطبعهٔ الاداب- النجف الاشرف ۱۹۷۱.

- الکعبی (الشیخ فتح الله بن علوان): زاد المسافر و لهنهٔ المقیم و الحاضر (نشرها علاء الدین فؤاد) ط ۲ بغداد ۱۹۵۸.

- الاعظمی (علی ظریف): مختصر تاریخ البصرهٔ (بغداد- ۱۹۲۷).

۱۶۲۳

Gollancz(SirH: Chronicaleof Eventsbetween the year

-

relating to the Settlment of theorder of Carmelieesin

۱۷۳۳and . ۱۹۲۷Mesopotamia (Bassora) .Oxford Trad .) ۱۸۳۸Hammer (J .de) :Histoirede
- IEmpire Ottoman Paris
J. J. Hellert)Vol. ۰۱, ۱۱- Rabbath(P. Antoine (S. I.: Documentsinedit spourservira Ihistoired
.uchristiani smeen Orient. Vol. I, ۱۱) Paris ۰۱۹۱ (. Wilson. A. T. The Persian Gulf, Oxford ۸۲۹۱
-
.Achronicle of the Carmelitesin Persia ۲ vol. London ۹۳۹۱
-
Siouffi(M. N.): Etudessur lareligiondes Soubbasou Sabeens
-. (Paris۱۸۸۰

فهرس الكتاب

كلمة المعرب ۵
سبستيانی و هو الاب جوزيبه دی سانتا ماريا الكرملی ۱۶۲۳- ۱۶۸۹ ۹
الرحلة الاولی: الفصل الثانی عشر (من الكتاب الاول) الاستعدادات للسفر الی بغداد عن طريق الموصل ۱۵
الفصل الثالث عشر: مكوثنا فی مدينة الموصل و سفرنا الی بغداد ۲۳
الفصل الرابع عشر: مكوثنا فی بغداد و سفرنا إلی البصرة ۲۹
الفصل الخامس عشر: معاكسات البدو ۳۷
الفصل السادس عشر: تكملة السفرة الی البصرة ۴۱
الفصل السابع عشر: مكوثنا فی البصرة ۴۵ الفصل الثامن عشر: الإبحار الی كومبرو فی فارس و التوجه الی سورات فی الهند .. ۴۹
الفصل التاسع عشر: اخبار متفرقة عن فارس ۵۱
الفصل العشرون: الوصول الی البصرة ... و اخبار عن الصابئة ۵۳
الفصل الحادی و العشرون: السفر الی بغداد ۵۵
الفصل الثانی و العشرون: كلمة عن النساطرة ۶۱
الفصل الثالث و العشرون: سفر خطر الی حلب ۶۷
الفصل الرابع و العشرون: مكوثنا فی حلب، و اخبار متفرقة ۷۵
الفصل الخامس و العشرون: إلمامة عامة عن الامبراطورية العثمانية ۷۷
الفصل السادس و العشرون: الإبحار الی البندقية ۷۹

البعثة الثانية الی الهند الشرقية ملخص ما كتبه سبستيانی عن العراق فی المجلد الثانی من رحلته الی الهند الشرقية الكتاب الاول (ملخص الفصول الاولی) ۸۱
الفصل السابع و العشرون: السفر الی ماردين ثم الموصل ۸۳
الفصل الثامن و العشرون: مكوثنا فی الموصل و سفرنا الی بغداد ۸۷

الفصل التاسع و العشرون: سفرنا الى البصرة بواسطة دجلة ۹۳
الكتاب الثالث من المجلد الثانى: الفصل السابع عشر: ... الى البصرة ۹۷
الفصل الثلاثون: فى البصرة ۹۹
الفصل الواحد و الثلاثون: السفر الى بغداد- اعتقالى فى العمارة ۱۰۱
الفصل الثانى و الثلاثون: السفر الى الموصل ۱۰۷
الفصل الثالث و الثلاثون: السفر الى حلب ۱۱۱
الفصل الرابع و الثلاثون: فى حلب ۱۱۳
الفصل الخامس و الثلاثون: لمحة عن الامبراطورية العثمانية و تحليل حالتها ۱۱۵
ملاحق الكتاب ۱۱۸
المراجع ۱۳۳

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.
– من الأنشطة الواسعة للمركز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹